

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة عمار ثليجي بالأغواط  
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية



فرع الفلسفة

# ظاهرة الدين عند مرسيا إلياد

مذكرة نهاية الدراسة للتخرج ماستر فلسفة الحضارة

إشراف الأستاذ:

– عطية بن عطية

إعداد الطالبة:

– خديجة بن السايح

دفعة: 2016/2015



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإهداء

الحمد لله الذي خلقني فسواني و من نور علمه سقاني و من الجهل أنجاني أحمدك وأشك  
فلك الحمد ربي حتي ترضى ولك الحمد ربي إذا رضيت ولك الحمد ربي  
بعد الرضا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك.  
اهدي ثمرة جهدي إلى صاحبة القلب الحنون و التي حرصت دائما علي تكميل  
مشواري الدراسي أمي الغالية بن السايح فاطمة الزهراء.  
و إلي الذي ينشد لي صرح الفلاح والصلاح بدعوته التي ملأت دربي وتكفل  
المشقة في تعليمي إلى أبي المجاهد العقيد و الرجل الصنديد  
بن السايح بن حرز الله.  
والي زوجي العزيز الذي كان يدعمني دائما و الذي لولاه لما تحصلت علي  
هذا النجاح اسأل الله أن يجعله ذخرا لي الدكتور تونسي الحاج عيسى.  
والي حماتي الغالية أمي الثانية.  
والي كل أخوتي و أخواتي و عائلتي وعائلة زوجي  
وإلي كل من كان له الفضل في إعداد هذا البحث المتواضع جزاه الله خيرا.  
وإهداء خالص إلي الأستاذ الفاضل عطية بن عطية و إلي كل أساتذتي  
من الابتدائي، المتوسط، الثانوي إلي الجامعة.  
وإلي كل بعيد او قريب ساعدني و دعمني بكلمة شكر أو دعاء.  
وعسى الله أن يرزقنا خيرا من هذا و يوسعنا درب المواصلة والنجاح.

# شكر و عرفان

بسم الله الحي العلي الولي العليم، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين

محمد بن عبد الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

أتوجه إلى السماء رافعة يدي لأشكر ولي نعمتي الذي أفاض بنعمته عليا منذ البدء وأمدني

بالقوة والعزيمة، والصبر لإنجاز هذا العمل المتواضع

فحمدا لله، حمدا كثيرا لا متناهيا. والشكر الجزيل للأمين الذي دانت وتدين له العلوم

والعلماء، له النور الأول "رسول الله صلى الله عليه وسلم"

و لأن الكلمات هي التي ما املك إزاء من غمرنا بالجميل، ولأن الشكر هو بعض الاعتراف

بهذا الجميل، فلا يسعني في هذا المقام سوى أن نتقدم بالشكر وفائق التقدير

للدكتور المشرف "عطية بن عطية" الذي أعانني كثيرا بتوجيهاته، ولم

ينخل علي بنصائحه ومساعدته

كما أتوجه بالشكر الخالص الممزوج بالإخلاص والتقدير لكل أساتذتنا الكرام دون استثناء

الذين رافقوني خلال مشواري الدراسي

و إلى كل من ساعدني من بعيد أو من قريب ولو بكلمة طيبة

# قائمة المحتويات

الإهداء

شكر و عرفان

01

مقدمة

## الفصل المنهجي

50	الإشكالية	(1)
50	تساؤلات الدراسة	(2)
60	أهمية البحث	(3)
60	أهداف البحث	(4)
60	المفاهيم المفتاحية والأساسية للدراسة	(5)
08	المنهج وأدوات البحث	(6)
08	أسباب اختيار الموضوع	(7)
09	الدراسات السابقة	(8)
09	صعوبات الدراسة	(9)
01	خطة البحث	(10)

## الفصل الثاني: مكانة الدين ومبادئه الرئيسية

- 41 المبحث الأول: مرسيا إلياد السيرة, المؤلفات, الأطروحات الرئيسية
- 41 المطلب الأول: مرسيا إلياد العالم و الإنسان
- 51 المطلب الثاني: مؤلفاته
- 61 المطلب الثالث: أفكاره و أطروحاته الرئيسية
- 18 المبحث الثاني: بنية الدين ومبادئه الرئيسة
- 18 المطلب الأول: مفهوم الدين (لغة و اصطلاحا)
- 02 المطلب الثاني: مكانة الدين
- 12 المطلب الثالث: المكونات الرئيسية للدين (الأسطورة, المعتقد, الطقس, الرمز)

## الفصل الثالث: المقدس والأسطورة في فكر مرسيا إلياد

- 29 المبحث الأول: أبعاد فكرة المقدس
- 29 المطلب الأول: علاقة المقدس بالمكان
- 13 المطلب الثاني: علاقة المقدس بالزمان
- 23 المطلب الثالث: علاقة المقدس بالتاريخ
- 34 المبحث الثاني: بنية الميثولوجيا في البعد الديني

- 34 المطلب الأول: الأسطورة و فكرة الدين
- 36 المطلب الثاني: رمزية الأسطورة وفكرة المقدس
- 38 المطلب الثالث: رمزية الأسطورة لدى المقيد

## الفصل الرابع: ميثولوجيا المطلق وعلاقتها بالمقيد لدى مرسيا إلياد

- 45 المبحث الأول: البعد العملي لفكرة المقدس
- 45 المطلب الأول: الأسطورة والرمز الوجودي (البعد الأنطولوجي)
- 47 المطلب الثاني: رمزية الأسطورة في محتواها الديني (البعد الإنساني)
- 50 المبحث الثاني: منزلة المقدس داخل التجربة الإنسانية
- 50 المطلب الأول: المقدس كحقيقة مطلقة وعلة للوجود وطبيعة علاقته بالديني
- 53 المطلب الثاني: خصائص النظرة الدينية للإنسان والكون
- 55 المطلب الثالث: خصائص النظرة اللادينية للإنسان والكون

## الفصل الخامس: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الدينية و الفلسفية

- 61 المبحث الأول: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الفلسفية
- 61 المطلب الأول: فلسفة الدين
- 62 المطلب الثاني: فلسفة التاريخ
- 63 المطلب الثالث: جهوده في مجال الهيرومينوطيقا (التأويل)
- 66 المبحث الثاني: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الدينية
- 66 المطلب الأول: تاريخ الأديان
- 68 المطلب الثاني: فينومينولوجيا الأديان
- 70 المطلب الثالث: أنثروبولوجيا الأديان
- 71 المطلب الرابع: تقييم الرؤية الدينية الإليادية
- 78 خاتمة
- 82 قائمة المصادر و المراجع
- 88 الملاحق

# مقدمة

يعتبر الدين إحدى السمات الرئيسية التي ميزت الإنسان، فالظاهرة الدينية رافقت الإنسانية منذ ذلك الوقت المبكر كمحرض أساسي وهام عبر عصورها المختلفة. فالتاريخ القديم أثبت تعود البشر على اللجوء إلى الإيمان قصد الحصول على الأمل والراحة خلال الأوضاع اليائسة، فالدين يعمل على تحقيق السلام الداخلي والشعور بالسكينة والاطمئنان والراحة المعنوية، عن طريق الإيمان والاعتقاد الراسخ بالإله المقدس المفارق المطلق. فالدين موقف أساسي من مواقف القيم الإنسانية، وقد تطور اهتمام الناس بالدين ابتداءً من الإيمان الساذج الذي مثله دين الإنسان الأول، وصولاً إلى الإيمان الواعي مع الإنسان المتحضر، ثم تطور الأمر إلى البحث في ظاهرة الدين بحثاً إعتقادياً بادئ ذي بدئ، حيث تطور هذا البحث بتطور العلوم الإنسانية وتمايزها حتى ظهر في إطار هذه العلوم علم الأديان، أو ما يعرف بتاريخ الأديان المقارن، الذي ركز على الظاهرة الدينية وفق دراسة علمية وموضوعية اشتملت على كل أو معظم الديانات التي اعتنقها البشر.

فالدراسات الدينية هي دراسة للفكر الإنساني، الذي لم ينفصل عن الفكر الديني، بل ارتبط به إرتباطاً وثيقاً منذ فجر التاريخ، وانعكس على طريقة التفكير في الوجود ككل. لذلك انتشرت الدراسات الدينية، وأخذت تزداد كما ونوعاً، فشجذت العقول والهمم لذلك. كما وُظفت المساعي والمناهج الفكرية المتباينة لخدمة مجال تاريخ الأديان، قصد دراسة وتحليل الظاهرة الدينية للوصول للبنية الحقيقية لها.

إن المتمثل لتاريخ الأديان والفكر الديني الإنساني، يجده لم يخلو ما جانبه الفلسفي، فالرؤية الفلسفية كانت حاضرة بقوة في مجال الظاهرة الدينية والفكر الديني بحثاً وتحليلاً لقضايا الدين و المقدس والإله، منذ نشأة ذلك التفكير حتى اليوم. حيث تناولت الفلسفة هذه المواضيع والقضايا و عالجتها إثباتاً أو نفيًا، ففي وقت مبكر صنف الفلاسفة مباحثاتهم في الحكمة النظرية إلى الإلهيات و الرياضيات والتطبيقات ... الخ، فدرسوا في الإلهيات المعنى الأعم للوجود المطلق، أي البحث عن أحوال الوجود من حيث هو موجود، كما درسوا الوجود ووجود الله وتوحيده وصفاته وأفعاله، وما يرتبط بذلك من مسائل. ذلك أن قضايا الإله والدين والمقدس لا تزال حاضرة بكثافة في آراء

الفلاسفة العرب والغرب، و في العصر اليوناني، تأمل الفلاسفة مباحث الدين، فتعددت الرؤى والآراء حول الظاهرة الدينية حتى حلول العصر الحديث الذي تغير فيه الفكر الديني، وأخذ طابعا جديدا غير الفكر الديني الغربي خصوصا والعالمي عموما، وعلى الرغم من التغيرات الراديكالية للدين، إلا أنه لا يزال يحوز على الاهتمام البالغ لدى المفكرين والفلاسفة، حيث ظهرت التيارات العلمية و الدينية والفلسفية الباحثة في مجال الفكر الديني والدارسة للظاهرة الدينية. لهذا ظهر ما يعرف بفلسفة الدين لتحليل البنية الفكرية الدينية، تحليلا عقليا للممارسات الدينية المختلفة، وهذه نقطة يمكن أن يجتمع فيها تاريخ الأديان وفلسفة الدين، وهذا ما جسده مرسيا إلياد خلال رحلته الفكرية، الطويلة التي تناول من خلالها الظاهرة الدينية البدائية والحضارية.

### خطة البحث:

للإمام بجميع جوانب البحث، ارتأينا تقسيم خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة كانت بمثابة مدخل للفكر الديني، وبيان مدى أهميته في بناء الوعي البشري، كونه لما يفارق الفكر الإنساني قديما و حديثا، إضافة إلى المقدمة قسمنا البحث إلى خمسة فصول: كان أولها الفصل المنهجي الذي يعتبر بمثابة مدخل للدراسة، أما الفصل الثاني ورد تحت عنوان مكانة الدين ومكوناته الأساسية، إضافة إلى الفصل الثالث الذي عنوانه بالقدس والأسطورة في فكر مرسيا إلياد، فضلا عن الفصل الرابع الموسوم بميثولوجيا المطلق وعلاقتها بالمقيد، أما الفصل الخامس و الأخير كان بعنوان قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الفلسفية والدينية، حيث ورد فيه نقد الفكر الديني لمرسيا إلياد، كما احتوت جميع الفصول علي تمهيد و خلاصة الفصل.

تضمن آخر البحث خاتمة ورد من خلالها جملة من الاستنتاجات حيث أخذت طابع الخلاصة للبحث.

## الفصل المنهجي

- 1) الإشكالية
- 2) تساؤلات الدراسة
- 3) أهمية البحث
- 4) أهداف البحث
- 5) المفاهيم المفتاحية والأساسية للدراسة
- 6) المنهج وأدوات البحث
- 7) أسباب اختيار الموضوع
- 8) الدراسات السابقة
- 9) صعوبات الدراسة
- 10) خطة البحث

تنوعت الجهود والدراسات البحثية العديدة الاجتماعية و الفلسفية لفهم الظاهرة الدينية، و ما يحيط بها من خصوصيات و ملابسات، و لعل الدراسات الفلسفية و اللاهوتية أول الدراسات التي تصدت لها بشكل علمي، و أدت إلى ردود فعل متناقضة ما بين الاتفاق التام و الصد و التشنج، رغم ذلك ضل الدين تجسيدا لأعلى و أسمى الطموحات الإنسانية، فالقيم الدينية ليست قيما مطلقة فحسب، بل هي قيم إنسانية تهدف إلى السمو بمكانة الأفراد و الجماعات، حتى و إن وصف أحيانا بأنه مؤشر سلمي يعوق تقدم المجتمعات و تطورها، خاصة عندما يكون عاملا لتفشي الجهل و الخرافة إلا إن هناك شبه إجماع، انه لا يمكن فصل مسألة الدين عن المجتمع الإنساني أو إهمال دوره الهام، في تغيير الفكر البشري باعتباره نقطة أساسية في تكوين الوعي الإنساني.

## 1) الإشكالية:

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث كآتي: فيما تتمثل الرؤية الدينية لمرسيا إلياد؟ بمعنى هل الفكر الديني ظاهرة ضرورية للإنسان باعتباره بنية متأصلة في الوعي البشري، أم أنه مجرد فكرة تاريخية ساذجة تخطتها الإنسانية مع ظهور الفكر النهضوي الأوروبي في بداية العصر الحديث؟

## 2) تساؤلات الدراسة:

إن الإشكالية الرئيسية لهذا البحث نتج عنها تساؤلات عدة كان الغرض منها محاولة الإلمام بجوانب الموضوع ودراسة حيثياته للوصول إلى نتائج موضوعية، وتتمثل هذه الظاهرة الدينية؟ كيف نظر مرسيا إلياد للمقدس في ظل أبعاده المتعددة التي لا تخلو م الأسطورة؟ وما هي مبرراته في أسطورة المقدس وربطه بالميثولوجيا على الرغم أنها لا تعبر إلا عن الفكر القصصي الخرافي؟ وهل الدراسات الدينية لمرسيا إلياد وبعثه المعمقة حولها تقتصر على تاريخ الأديان فقط، أم أنه تجاوزه لولوج الفكر الفلسفي الديني؟ وهل نتائج بعثه الدينية وتناسب مع نمط التفكير الإنساني الحديث والمعاصر؟

### 3) أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى المكانة الكبيرة التي يحتلها الدين والفكر الديني، الذي كان ولا يزال من أبرز المواضيع التي تسيطر على الساحة الفكرية الإنسانية، كما تكمن أهمية هذا البحث أيضا، كونه يعالج ويتناول الفكر الديني من زاوية مختلفة، أخذت منحى أنثروبولوجي تاريخي يتمثل في تاريخ الأديان، خصوصا الأديان الأولى التي عرفها الفكر البشري التقليدي، إضافة إلى الصبغة الفلسفية التي تتمثل تحليل الظاهرة الدينية، ومعرفة بنيتها وتراكيبها والتعرف على وجهة النظر الدينية التاريخية الفلسفية لمرسيا إلياد، على اعتبار أن الفكر الديني عمل على بناء الوعي البشري، والإمام بالنظرة الدينية و اللادينية للوجود.

### 4) أهداف البحث:

من بين الأهداف التي يريد البحث تحقيقها: التعرف على البني والرؤى الفكرية للفيلسوف ومؤرخ الأديان مرسيا إلياد والاطلاع على آرائه الدينية ، وتفسيراته للدين الإله المقدس إضافة إلى الوقوف على انعكاسات الفكر الديني، والشعور الإيماني على الإنساني التقليدي والمتحضر (المتدين و اللامتدين)، وعلى رؤيته للوجود والكون، كما نصبوا إلى معرفة خلاصة وعصارة الاستنتاجات التي وصل إلياد في مجال الأديان، كما يهدف هذا البحث أيضا إلى تسليط الضوء على الفكر الفلسفي الديني، وذلك من خلال مبحث فلسفة الدين، وفقا دراسة عقلية للدين كما نهدف أيضا، من هذه الدراسة إلى استخدام وتطبيق الخطوات المنهجية والمعارف العلمية للبحوث الأكاديمية الجامعية.

### 5) المفاهيم المفتاحية والأساسية للدراسة:

تقوم هذه الدراسة على عدة مفاهيم أساسية مفتاحية، بني عليها باعتباره مقوم رئيسي للفكر و الوعي الإنساني، و حاجة إنسانية أساسية، رغم تفاوت طبيعة و شدة هذه الحاجة عند الأفراد، إلا انه يبقى ميزة إنسانية رافقت البشرية منذ لحظات بداياتها الأولى، هذا الأمر الذي أثبتته مرسيا إلياد في

دراسته المتميزة للدين كظاهرة إنسانية خالصة ميّزت المجتمع الإنساني عبر العصور. و إذا اعتبارنا الدين ظاهرة فلا بد أن نتطرق لشرح هذا المفهوم:

فالظاهرة بالمعنى اللغوي (phénomène) و هي ما يبدو عليه الشيء في مقابل ما هو عليه فضلا على أنها لفظ يطلق على أي حدث، يمكن مراقبته ففي الاستخدام العام لمصطلح الظاهرة كثيرا ما نشير إلى حدث غير عادي، أما في الاستخدام العلمي فهي تعبر عن حدث يمكن مراقبته و رصده.

فالدين عبارة عن ظاهرة واضحة للعيان، خيمنت على المجتمعات الإنسانية قاطبة الأمر الذي أدى إلى جذب اهتمام علم الاجتماع الديني وتاريخ الأديان و فلسفة الدين، إلى البحث والتنقيب عن تلك الظواهر الدينية وتحليلها.

أما بالنسبة لمفهوم الدين فان تحديد بنيته وكنيته ليس بالأمر الهين و اليسير، حيث اختلفت التحديدات كما تعارضت أحيانا في تحديد ماهيته، إلا أن ذلك لم يقلل من اهتمام الباحثين والدارسين بالفكر الديني، الذي كان ولا يزال محلا للجدل والبحث و التحليل العلمي، فضلا عن النظر إليه من زاوية الظاهرة السيسولوجية الاجتماعية باعتباره مسطر على المجتمعات البشرية.

إن دراسة الدين و الفكر الديني يفرضي بالضرورة إلى التطرق و التعرض لمفهوم المقدس، الذي يعتبر صورة للإله ذلك المبارك والطلق المتعالي المفارق، و هو يناقض كل ما هو دنيوي ذلك العادي الذي وصفه إلياد بالمدنس والعادي والمقيد، فالمدنس يمثل تلك الكائنات ومجمل الأشياء الدنيوية التي لا يجوز لها الاتصال بالأولي إلا بموجب عبادات وشعائر معينة.

و بذلك يرتبط مصطلح المقدس بالمدنس فرغم تعارضهما يبقيان مصطلحان متلازمان، لا معنى لأحدهما عن الآخر فهما يشكلان الإطار الأساسي للفكر الديني، الذي لا يستقيم إلا من خلال العلاقة المتميزة التي تربط المقدس بالمدنس، ذلك الدنيوي الذي يسعى دائما للبحث عن القداسة و ذلك عن طريق جملة من المبادئ الرئيسية، التي اعتبرت مقومات أساسية للدين الذي يتجسد في شكل معتقدات امن الإنسان، بها فضلا عن الطقوس التي يقوم بها لكي يخرج من العالم

الدينيوي و يصل إلى ما هو قدسي مفارق، إلى جانب الرمز الذي اقترن بالدين فكان لا بد أن يتميز برموز مختلفة تدل على ما هو مقدس في الكون و الوجود، إلى جانب الأسطورة التي لم تخرج عن إطار الفكر الديني، الأول باعتبارها حدث ديني يروي قصة مقدسة و أحداث جرت في الزمن الأول، فهي تصف الانحرافات الدرامية و الدينية لكل ما هو مقدس في العالم.

## 6) المنهج وأدوات البحث:

ولتحقيق الهدف المرجو من البحث، اعتمدت على المنهج التحليل والنقدي، وذلك من خلال تحليل الرؤية الدينية لمرسيا إلياد، وتحليل البنية والظاهرة الدينية من خلال المعتقدات والطقوس والرموز والأساطير، باعتبارها مكونات رئيسية لقيام الظاهرة الدينية، إضافة إلى تحليل تأثير الشعور الإيماني للإنسان المتدين والغير متدين، وانعكاساته على الوعي البشري والبعد الأنطولوجي للوجود والكون كما اعتمد المنهج النقدي، الذي كان حاضرا في مناقشة وآراء وقناعات مرسيا إلياد والنتائج التي وصل إليها في دراسته للظاهرة الدينية، من خلال عرض الآراء والمواقف المناقضة للفكر الديني الإليادي.

## 7) أسباب اختيار الموضوع:

لقد وضع اختياري لهذا الموضوع لاعتبارات موضوعية، وأخرى ذاتية، أما الموضوعية فتعود إلى الظاهرة الدينية، باعتبارها إشكالية فكرية أخذت نواحي متعددة من الدراسة والتحليل، لحيازتها على اهتمام المفكرين وحتى العوام، وأما عن اختيارنا لظاهرة الدين عند مرسيا إلياد، فيرجع السبب إلى البعد التاريخي الذي ميز الظاهرة الدينية، باعتبار أن إلياد مؤرخ أديان تطرق إلى دراسة الفكر الديني الإنساني الساذج القديم، وممارساته الأولى والاطلاع على كيفية تشكل الوعي الإنساني، عن طريق الإيمان بالأديان.

أما الاعتبارات الذاتية فترجع إلى رغبتني الملحة على التعرف على مرسيا إلياد، كمفكر أنثروبولوجي ومؤرخ أديان وفيلسوف، خصوصا أنه لم يحض بالاهتمام والدراسة من قبل بالدراسة

الأكاديمية لذلك سيطرت علي رغبة ملحة، في التعرف على أفكاره و أطروحاته ومبادئه الفكرية، فضلا عن ميلي لتناول موضوع يدخل في إطار فلسفة الدين من خلال التحليل والتفسير العقلاني للظاهرة الدينية، والاطلاع والكشف عن خباياها.

## 8) الدراسات السابقة:

وسبق وأن أشرنا من قبل أن مرسيا إلياد لم يأخذ حظه من الدراسة والبحث الأكاديمي، لذلك لم أتحصل على دراسات سابقة لهذا الفيلسوف والمؤرخ للأديان، حيث لا يزال مجهولا في الساحة الفكرية الفلسفية، إلا في من بعض المقالات القليلة الموجودة في المواقع الالكترونية، التي تناولته من ناحية أنتروبولوجية لا غير، ولقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث علي عدد من مؤلفاته التي تحصلت عليها ومن هذا المنطلق، أتمنى أن يكون بحثي هذا المتواضع بمثابة نقطة بداية للتطرق بالبحث والدراسة والتحليل والنقد للفكر الديني الإليادي، أو تناوله بالدراسة من نواحي فكرية مختلفة لكونه شخصية متعددة الأبعاد والأفكار.

## 9) صعوبات الدراسة:

أثناء محاولتي إنجاز هذا البحث واجهتني عدة صعوبات، كانت أولها وأشدّها صعوبة هو عدم توفر الدراسات السابقة، وهذا ما شكل عقبة حقيقية اعترضت مسيرتي خلال إنجازي هذا البحث، فلم تتوفر أي دراسات أكاديمية حول مرسيا إلياد، أما الصعوبة الثانية هي ندرة كتبه في المكتبات الجامعية، حيث لم أتحصل على أي نسخة ورقية سواء في المكتبات الجامعية أو غيرها من المكتبات الأخرى، لذلك لجأت إلى النسخ الإلكترونية فقط، فضلا عن صعوبات أخرى تمثلت في الأسلوب المعقد والصعب نوعا ما لمرسيا إلياد، أثناء سرد الظاهرة الدينية خصوصا أنه اعتمد أكثر على الديانات القديمة المركبة والتي كانت عسيرة على الإمام بها وفهمها، خاصة ديانات البرهما والسيخ والآلهة المتعددة، إضافة إلى تحليله للبنى الرمزية و اعتماده على الفكر الميثولوجي الغامض في تحليل

الدين للإنسان الأول، التي لجأ أثناء دراسته لمناهج متنوعة، فمنها ما هو تاريخي وفلسفي و أنثروبولوجي و نفسي.

## 10) خطة البحث:

لإيفاء الموضوع حقه ، ارتأينا تقسيم خطة البحث على النحو التالي:

**مقدمة:** كانت بمثابة مدخل للفكر الديني، وبيان مدى أهميته في بناء الوعي البشري، كونه لما يفارق الفكر الإنساني قديما و حديثا، إضافة إلى المقدمة هناك خمسة فصول:

**الفصل الأول:** تمثل في الفصل المنهجي الذي يعتبر بمثابة مدخل للدراسة، حيث يحتوى على إشكالية البحث وتساؤلات الدراسة، إضافة إلى أهمية البحث و أهدافه فضلا عن، المفاهيم المفتاحية و الأساسية للدراسة زيادة على، المنهج و أدوات البحث و أسباب اختيار الموضوع، و التطرق للدراسات السابقة و بيان صعوبات الدراسة.

**الفصل الثاني:** الذي تناول مكانة الدين ومكوناته الأساسية، حيث تطرقت فيه للتعرف على مرسيا إلياد كعالم وإنسان كما عرجت فيه للحديث عن أطروحاته الأساسية، ومؤلفاته، هذا كان كمبحث أول.

أما المبحث الثاني فتناولت فيه مفهوم الدين لغة واصطلاحا، إضافة إلى الإشارة إلى مكانته ومبادئه و مرتكزاته الأساسية من معتقدات وطقوس ورموز وأساطير.

**أما الفصل الثالث:** عنونته بالمقدس والأسطورة في فكر مرسيا إلياد، حيث عرضت من خلاله كمبحث أول أبعاد المقدس، ذلك أن القداسة تتعلق بإمكانة وأزمة وتاريخ متعددة، أما المبحث الثاني ورد فيه الميثولوجيا في البعد الديني، باعتبار أن الأسطورة لم تفارق فكرة الدين، بالإضافة إلى رمزيات الأسطورة المتعلقة بالمقدس، فضلا على رمزية الأسطورة لدى (المدنس).

أما الفصل الرابع: كان بعنوان ميثولوجيا المطلق، وعلاقتها بالمقيد، حيث ناقش المبحث الأول البعد العملي لفكرة المقدس، الذي وردت خلاله الأسطورة والرمز الوجودي في بعد الأنطولوجي، إضافة إلى الحديث عن رمزية الأسطورة في محتواها الديني في بعدها الإنساني، ثم التطرق لقضية منزلة المقدس وفكرة القداس داخل التجربة الإنسانية، أما المبحث الثاني عاجلنا خلاله المقدس كحقيقة مطلقة وعلة للوجود وطبيعة علاقته بالديوي، فتعرضنا فيه لخصائص النظرة الدينية للإنسان والكون، وخصائص النظرة اللادينية للإنسان والكون.

وآخر الفصول كان الفصل الخامس الذي آثرنا أن نتعرض و نتبين قيمة مرسيا إليات في الدراسات الدينية والفلسفية التي تنوعت بين فلسفة الدين وفلسفة التاريخ، وجهوده المبذولة في مجال الهيرمينوطيقا والتأويل، أما البحث الثاني برزت فيه قيمة مرسيا إليات في الدراسات الدينية انطلاقا من تاريخ الأديان وفينومينوجيا الأديان وأثربولوجيا الأديان، ثم تقييم الرؤية الدينية الإلياتية، وتقديم الانتقادات والأفكار وأطروحات إليات في مجال الدين والظاهرة الدينية.

كما يحتوي هذا البحث على خاتمة، تضمنت الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال مناقشتنا لظاهرة الدين عند مرسيا إليات.

مع العلم أن كل فصل أسلفناه بتمهيد، و أعقبته بنتائجه وخلاصة لكل فصل من تلك الفصول.

## الفصل الثاني: مكانة الدين ومبادئه الرئيسية

تمهيد

المبحث الأول: مرسيا إلياد السيرة, المؤلفات, الأطروحات الرئيسية

المطلب الأول: مرسيا إلياد العالم و الإنسان

المطلب الثاني: مؤلفاته

المطلب الثالث: أفكاره و أطروحاته الرئيسية

المبحث الثاني: بنية الدين ومبادئه الرئيسية

المطلب الأول: مفهوم الدين (لغة و اصطلاحا)

المطلب الثاني: مكانة الدين

المطلب الثالث: المكونات الرئيسية للدين (الأسطورة, المعتقد, الطقس, الرمز)

(الأسطورة, المعتقد, الطقس, الرمز)

خلاصة الفصل

شكل الفكر الديني مجالاً واسعاً للبحث والدراسة، ولا يزال يعتبر مبحثاً هاماً يستثير أفكار وجهود الباحثين والمؤرخين في مجال الأديان، باعتبارها لم تفارق الفكر البشري، بل لازمته منذ لحظاته الأولى فالظاهرة الدينية مميزة أساسية فيه، لذلك كثر المفكرين ومؤرخي الأديان كان أبرزهم الفيلسوف و الأنثروبولوجي ومؤرخ الأديان الروماني مرسيا إلياد، الذي أولى اهتماماً بالغاً للدين، فانقطع للكتابة والبحث في الظاهرة الدينية برمتها، مركزاً على دين الإنسان الأول، باعتبار أن مكانة الدين تأخذ أعلى درجة على مستوى هرم الفكر البشري عبر التاريخ، فالنظرة الفاحصة إلى تاريخ و جغرافية دين الإنسانية تكشف لنا عن بنية موحدة للدين، أين اتقينا به كظاهرة ثقافية رائدة، تقوم هذه البنية على عدد من العناصر والمكونات، بعضها أساسي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية بدون و أخرى ثانوية، لا يلعب دوراً حاسماً في تكوين الدين أو في تعرفنا على الظاهرة الدينية، فما هي مكانة الدين وما هي مكوناته الرئيسية؟

## المبحث الأول: مرسيا إلياد السيرة، المؤلفات، الأطروحات الرئيسية

## المطلب الأول: مرسيا إلياد الإنسان والعالم

مرسيا إلياد كاتب ومؤرخ أديان، وفيلسوف روماني، ولد في مدينة بوخارست برومانيا سنة 1907م، في عائلة مسيحية أورثوذكسية<sup>1</sup> متدينة، كانت تولي اهتماما كبيرا للبعد الديني. برزت موهبة إلياد في سن مبكرة، فكتب أول مقالا له في سن الرابعة عشر كان بعنوان (كيف اكتشفت حجر الفلاسفة)<sup>2</sup>، ثم تواصلت مقالاته التي كان يتم نشرها في أهم الصحف في بوخارست، وفي عام 1928 م أنجز أطروحة الليسانس، وكان موضوعها عن فلسفة النهضة الإيطالية وفلاسفتها<sup>3</sup> وهذا بعد أن قضى فيها مدة من الزمن حيث أعجب بفلاسفة إيطاليا و بالعقل الأنواري الايطالي.

وفي سنة 1929 سافر إلياد إلى الهند التي كانت تجر تجربة حاسمة في حياته، حيث كان يسميها بالتجربة الهندية التي أضفت له الكثير على المستوى الفكري والإنساني، فاهتم أثناءها بنشاط (المهااتما غاندي)<sup>4</sup> ونضاله، حيث درس فلسفته واقتبس من أفكار الكثير خصوصا الأمور الروحانية محاولا تطبيقها على المجتمع الروماني، لم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل عكف إلياد على دراسة اليوغا وفلسفتها، وكانت موضوعه لأطروحة الدكتوراه في "فلسفة اليوغا".

وفي سنة 1933<sup>5</sup> عيّن في جامعة بوخارست التي درس فيها الأديان، ورغم إعجاب إلياد بالحدائث والعقل التنويري، إلا أنه كان أقرب إلى اليمين القومي منه إلى العلمانيين والتقدميين، فهو مقتنع بالجانب الروحي الديني، حيث دعا إلى تأسيس دولة قومية متمركزة حول الكنيسة الأورثوذكسية الرومانية وذلك راجع إلى البعد الديني للإنسان باعتباره لا يكاد ينفك عن العلاقة الروحية والتاريخية مع الآلهة .

الأسرار، تر حسيب كاسوحة، د.ط، منشورات الثقافة، سوريا، 2004، ص 3. الإحلام و مرسيا إلياد: الأساطير و<sup>1</sup>

المصدر نفسه، ص 4.<sup>2</sup>

المصدر نفسه، ص 3.<sup>3</sup>

مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، تر سعود المولى، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2007 م، ص 9.<sup>4</sup>

المصدر نفسه، ص 10.<sup>5</sup>

وتحمل إلياد الكثير من المتاعب نتيجة أفكاره السياسية التي أدت إلى خوض تجربة السجن القاسية إلا أن ذلك لم يبط عزمته في مواصلة مسيرته الفكرية والعلمية التي قدمته في صورة العالم الانثروبولوجي و مؤرخ الأديان و الفيلسوف، وفي سنة 1955<sup>1</sup> م درس في المدرسة العليا للدراسات العليا في باريس وكان ينشط مؤتمرات حول الأديان في الولايات المتحدة الأمريكية، حتى عاد إلى شيكاغو سنة 1957 م، حيث درس في جامعتها ما يعرف (الدين المقارن) وبقي على هذا الحال حتى وفاته سنة 1986<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: مؤلفاته

برز مرسيا إلياد في الساحة الفكرية كأهم المفكرين النخبة في القرن العشرين، باعتباره من أبرز الشخصيات العلمية في مجال تاريخ الأديان والفلسفة وغيرها ، حيث استفادت دراسته العلمية في مجال الأديان ما نتج عنها كتب و موسوعات، فكان إلياد من المفكرين والكتاب الموسوعيين خلال مسيرته الفكرية، حيث زادت كتبه ومؤلفاته عن ستة وأربعين كتاب<sup>3</sup> في تاريخ الأديان و الميثولوجيا و ما سنأتي علي ذكره من مؤلفات فستكون على سبيل المثال والذكر و لا ليس على سبيل الحصر فنذكر أهمها :

موسوعة تاريخ الأديان خلال سنوات (1950-1965م)، المقدس الدنيوي (1956-1957)، كتاب الأساطير و الأحلام و الأسرار (1957)، كتاب مفيستو فيليس و الحنثوي (1962) و ديانة زن (1967) م<sup>4</sup>.

ترجمت كتب إلياد إلى لغات عالمية عديدة، كما ترجمت الكثير من كتبه إلى العربية ضمن منشورات وزارة الثقافة، نذكر منها: أسطورة العودة الأبدية (1990)، ملامح الأسطورة (1995)،

المصدر نفسه، ص 12. <sup>1</sup>

المصدر نفسه ، ص 15. <sup>2</sup>

مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق، ص 4. <sup>3</sup>

مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 14. <sup>4</sup>

صور و رموز (1998)، التنسيب والولادات الصوفية (1999)، كتاب الأساطير والأحلام والأسرار (2004)<sup>1</sup> و إضافة إلى العديد من الكتب الأخرى.

### المطلب الثالث: أفكاره وأطروحاته الرئيسية

إن الأديان المختلفة للحضارات الأولى، التي كانت بمثابة الإلهام للأفكار والأطروحات الإليادية حيث ركز عليها من خلال تاريخ الأديان المقارن وخصوصا ديانات حضارات الشرق القديم التي كانت تشكل بدايات دراساته للأديان، فسلط الضوء على الشامانية (الشامان في الديانة البراهمانية) من جهة واليوغا ومدارسها من جهة أخرى، لهذا يعتبر إلياد من أنصار (العود الأبدي) و(نظرية الحنين إلى الأصول)<sup>2</sup>، أي القول بوجود اعتقاد ضمني صلب راسخ الأساس في جميع الديانات وممارسة السلوك الديني من عبادات ومعاملات وطقوس وكمشاركة في أحداث مقدسة، فالبنية الفكرية لإلياد مبنية على العديد من المفكرين على رأسهم رودولف أتو و جيراردوس فان دولوى، كما كان شديد التأثير بالمدرسة (التقليدية التراثية) التي يمثلها روني غينون و يوليوس إيفولا<sup>3</sup> الشيء الذي شكل لديه قاعدة فكرية لعدد من المؤلفات فمثلا كتاب (المقدس الدنيوي) بني على أفكار وردت في كتاب مبدأ المقدس لروودولف الذي يبين فيه تجربة المقدس<sup>4</sup> الذي لم يخرج بدوره من الأسطورة بزمنها وتاريخها ورموزها.. إلخ.

ومن بين الأفكار التي تأثر بها إلياد وآمن بها تلك النظرية القائلة أن الفكر الديني يرتكز في العموم على ذلك التميز القاطع المطلق بين المقدس والدنيوي، باعتبار أن المقدس يعبر عن الإله، والآلهة أو الأجداد الأسطوريين والرموز المختلفة المشعة بالقداسة التي تضيء الجو المقدس على الإنسان والكون برمته، هذا المفهوم الذي بلوره إلياد من خلال مصطلح (التجلي) أو ( تجلي

مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق، ص 5.1

مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 28.2

المصدر نفسه، ص 29.3

المصدر نفسه، ص 31.4

\*الشامان: هو الكاهن و رجل الدين عند المغول و اعظهم و هو من يحسن السحر و الكهانة.

المقدس) في العالم والكون والوجود<sup>1</sup> و بذلك يضفي عليه القداسة التي تعطيه رونقا وقصد ومعنى وبنية، وبذلك تتجسد التجربة الدينية التي يمارسها الدنيوي الذي يسعى دائما للحاق بقبس القداسة التي ينشدها.

تعتبر الأسطورة من بين الأطروحات الرئيسية لإلياد باعتبارها بنية أساسية للفكر الديني، فإن الحديث عن الدين هو حديث عن الأسطورة بالضرورة، باعتبارها تحلد تاريخا ومكانا وزمنا مقدسا، أي ذلك الزمن الأول الذي ظهر فيه المقدس فأنشأ قوام هذا العالم وتراكيبه، فهي تتحدث الخلق والتكوين<sup>2</sup>، والظهور الأول للمقدس، وبذلك يصبح الزمن والعصر الأسطوري هو زمن مقدس بامتياز، ذلك أن الأسطورة لا تكاد تنفك هي الأخرى عن البعد الرمزي (الرموز) الذي يخلد القداسة.

إن اهتمام إلياد بالظاهرة الدينية جعله يهتم بالصوفية والدراسات الوجدانية الصوفية خصوصا عند (الشامانية) والوجدان الصوفي لهم<sup>3</sup>، باعتبار أن الممارسة الدينية تقترب في أوجها للتصوف، فتدرك الوجدان من خلال تمجيد إليها مقدسا سماويا، و الشامانيون يقومون بمساعدة الإنسان بالتجانس مع الزمن المقدس<sup>4</sup>، والخروج من الزمن الدنيوي العادي، والرغبة في استعادة الحرية والحالة الفردوسية التي يسعى الإنسان للوصول إليها.

المصدر نفسه، ص 32.

المصدر نفسه، ص 34.

المصدر نفسه، ص 36.

المصدر نفسه، ص 38.

## المبحث الثاني: بنية الدين ومبادئه الرئيسية

## المطلب الأول: مفهوم الدين

يعتبر مصطلح الدين من المصطلحات المثيرة للجدل، فلا يوجد تعريف واضح وثابت للدين، فهناك العديد من التعاريف التي تتصارع جميعها على محاولة إيجاد تعريف أشمل وأدق لمفهوم الدين.

أ/ الدين لغة:

الدين في المعنى اللغوي له يشير كما ورد في مختار الصحاح «الدين الطاعة تقول دان له بدين أي أطاعه، ومنه الدين وجمع الأديان، ويقال دان بك أديانه فهو دين وتدين به، فهو متدين ودينه تدينا وكله دين»<sup>1</sup>.

كما ورد في لسان العرب لابن منظور أن الديان من أسماء الله عز وجل، ومعناه الحكم القاضي وهو فعال، من دان الناس أي قهرهم على الطاعة، فيقال دنتهم فدانونا، أي قهرهم فأطاعوه<sup>2</sup>، والدين في لغة العرب هو "دنا" "يدنو" أي قرب واقترب منه، فالدين في اللغة هو دين الإنسان، وهو العهد نحو الرب الخالق<sup>3</sup>، وكلمة الدين هي الطاقة والانقياد والجزاء والحساب، وهي اسم لجميع ما يتدين به، والملة جمع أديان، وتدين بعقيدة أي دان بها<sup>4</sup>، ومنها قوله تعالى: ﴿إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>5</sup>.

## ب/ الدين اصطلاحاً:

أما في المعنى والمفهوم الاصطلاحي، فمن بين أهم التعريفات المتداولة في حق الدراسات الدينية التي طمحت وقتها الإحاطة بالظاهرة الدينية بنجدها قد قدم تعريفاً وفقاً لمجال تخصصه والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

الرازي محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر: مختار الصحاح، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، 1999، ص 218.<sup>1</sup>

ابن منظور: لسان العرب، ج2، ط1، المطبعة الأمريكية، القاهرة، (د.س.ن)، ص53.<sup>2</sup>

دار النهضة العربية، مصر، 2007، ص1.15 ط عبد الحميد أحمد الرفاعي: المسؤولية الجنائية الدولية للمسئور بالمعتقدات الدينية،<sup>3</sup>

المعجم الوجيز: معجم اللغة العربية (د.ط)، مطابع وزارة التعليم العالي، مصر 1999، ص 241.<sup>4</sup>

سورة يوسف، الآية 40.<sup>5</sup>

## - تعريف الانتروبولوجيين:

يُجد مؤرخ الأديان الأنثروبولوجي **ماكس مولر** يعرفه: «إن الدين هو كدح من أجل تصور لا يمكن تصوره، وهو قول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه توق إلى اللانهائي»<sup>1</sup>.

كما يقول «هو محاولة التعبير عما لا يمكن تصوره والتطلع إلى الله باعتباره الكمال المطلق اللانهائي»<sup>2</sup> أما **فرويد** فيقول: «الدين هو الاعتقاد بقوة غيبية غير مشخصة»، إضافة إلى قوله أن «الدين هو توجيه الإنسان لسلوكه وفقاً لشعوره بالصلة بين روحه وروح خفية... ويحاول أن يكون بصلة دائماً بها»<sup>3</sup>.

## -تعريفات الفلاسفة:

تكلم **إيمانويل كانط** عن الدين فوصفه: «بأنه الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة أوامر إلهية سامية»، كما يرى **هربرت سبنسر** «أن الآيات تعبر عن اقتناع ضمني بوجود العالم بما فيها وبما يحيط به يعتبر شيئاً غامضاً يتعذر تفسيره»<sup>4</sup>.

## -تعريفات علماء الاجتماع:

إن الدين عند ملثون بنجره هو نسق من المعتقدات والممارسات، التي بواسطتها تكافح جماعة الأفراد المشكلات المطلقة للحياة الإنسانية<sup>5</sup>، أما **إميل دوركايم**، فيرى أن الدين عبارة عن نسق موحد ومتكامل، يشتمل على العقائد والممارسات المتصلة بالأشياء المقدسة التي تمارس في مجتمع صغيراً أخلاقياً يسمى الكنيسة.

فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، 2002، ص23.<sup>1</sup>

سامية الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني، ط1، دار المعارف، مصر 1982، ص21.<sup>2</sup>

المرجع نفسه، ص22.<sup>3</sup>

نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ج1، ط1، دار الشروق، مصر، 1981، ص24-25.<sup>4</sup>

مراد زعيمي: نظريات علم الاجتماع الديني: ط1، محضرات للدراسات العليا (د، ب، ن)، 2007، ص25.<sup>5</sup>

\* فراس السواح: باحث ومفكر ومؤرخ أديان، ولد في سوريا بمدينة حمص سنة 1941، حاز على البكالوريوس في الاقتصاد بجامعة دمشق، كتبت عن التاريخ والميثولوجيا منذ سنة 1958، ومن أهم مؤلفاته: مغامرة العقل الأولي، دراسة في الأسطورة، أصل الدين في الأسطورة، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني.

والأمر الملفت هنا هو أن جميع هذه التعاريف تعبر عن وجهة نظر أصحابها واتجاهاتهم الفكرية الخاصة بهم<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مكانة الدين

تنوعت إجتهدات الفلاسفة والمفكرين والعلماء في وضع تعريف للإنسان، هذا الكائن الذي يرغب دوماً في رسم حدود فاصلة بينه وبين شركائه على هذا الكوكب، وعلى غرار تلك التعريفات المتباينة، نجد تعريفات مؤرخي الأديان الذين أكدوا أن الإنسان كائن متدين<sup>2</sup>، حيث يعتبر الدين من أهم الظواهر المميزة للجماعات البشرية منذ بدايات تكوينها، بل لعلها أهم ظاهرة ميزت تلك الجماعات الأولى بعد صناعة الأدوات، فالدراسات الأركيولوجية أثبتت أن الإنسان الأول قد ترك إلى جانب أدواته المادية شواهد على وسطه الفكري تشير إلى بوادر دينية لا لبس فيها، وتبين ظهور الدين إلى جانب التكنولوجيا كمؤثرين أساسيين على ابتداء الحضارة الإنسانية<sup>3</sup>، فالمجتمع الإنساني يبني دوماً على قاعدتين أساسيتين منها ما هو مادي (تكنولوجي أدائي) وما هو روحي فكري (ديني)، لكن هناك من يعتبر الفكر الإغريقي الفلسفي قد وضع حداً للفكر الديني الأسطوري الساذج على اعتبار أن الفلسفة قد عملت على تحرير العقل<sup>4</sup> من شروطه القديمة الميثولوجية، حيث يساير هذا الطرح الفرضية القائلة أن الدين ليس شكل من أشكال النظر العقلي، بل أن الفلسفة هي الشكل الأرقى<sup>5</sup> باعتبارها تولى أهمية كبرى للتفكير العقلي المنطقي، وإذا رجعنا إلى التقسيم التاريخي للفكر البشري إلى مراحل تمثلت في السحر ثم الدين فلفلسفة، فالعلم التحريبي، غير أن هناك نظرة تؤكد أن الفكر الفلسفي لم يلغى الفكر الديني<sup>6</sup>، ومع التطور الهائل للفكر الفلسفي وتقدم العلم، إلا أن ذلك لم يقضي على الفكر الديني، سواء في الثقافة العربية أم الغربية، حيث إمتص

دراسة عن المجتمعات البدائية، ط1، دار علم الدين، مصر (د،س،ن)، ص 25. محمد الخطيب: الانتروبولوجيا<sup>1</sup>

فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني مرجع سابق، ص 19.<sup>2</sup>

المرجع نفسه، ص 20.<sup>3</sup>

منجي لسود: إسلام الفلاسفة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2006م، ص 37.<sup>4</sup>

جلال صادق العظم: نقد الفكر الديني، دار الطليعة، بيروت، 1998م، ص 20.<sup>5</sup>

فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني مرجع سابق، ص 21.<sup>6</sup>

الفكر الديني صدمة انتصار العلم والفلسفة، وهو لا يزال يزاحم بقوة على اقتحام أهواء وعقول الناس، ويتغلغل داخل أرواحهم في كل زمان ومكان.

ومهما تزايدت معارضة العلم للدين، وخصوصا العصر الحديث الذي واكب تلك النهضة الفكرية والعلمية، حيث كان العلماء لا يعترفون بالتفسير الديني للظواهر، لأنه تفسير ميتافيزيقي و لغضاضته وعدم واقعيته، إلا أن العلماء الأوربيين كثيرا ما يستندون للفكر الديني الشرقي القديم وخصوصا نظرتة للكون، حيث يقول نيلز بوهر وهو واحد من بين أهم مؤسسي فيزياء الكم إذ يقول: «إذا شئنا العثور على مواز للدرس الذي تعطينا إياه الفيزياء النووية، علينا أن نلتفت إلى تلك المشكلات المعرفية التي واجهت من قبل المفكرين في أمثال بوذا و لاوتسي التي تتضمن من جملة ما تتضمن وضعنا كمشاهدين وممثلين في دراما الوجود الكبرى»<sup>1</sup>. فالفكر الديني للإنسان الأول كان و لا زال يعتد به رغم التقدم الكبير للعلم التجريبي، وبذلك يمكن الجزم أن الفكر الديني ليس مرحلة منقضية من تاريخ الفكر الإنساني، بل هو سمة متأصلة في هذا الفكر، فالدين يبقى مصدرا بدائيا للثقافة الإنسانية<sup>2</sup>، فإن جميع المؤثرات الموجودة على الساحة الفكرية الإنسانية تدل على أنه مازال حيا ومؤثرا بطريقة لا يمكن تجاهلها، ولهذا لا يتسنى لنا أبدا فهم الحاضر الفكري الغني للإنسان دون الرجوع إلى ماضيه الديني.

### المطلب الثالث: المكونات الأساسية للدين

أكد تاريخ البشرية أن دين الإنسانية يتكون من بنية موحدة للدين، وتقوم هذه البنية على عدد من العناصر الأساسية التي تعمل في مجملها على تأليف الظاهرة الدينية والتي يمكن إدراجها فيما يلي:

المرجع نفسه، ص 23.<sup>1</sup>

المرجع نفسه، ص 25.<sup>2</sup>

## -المعتقد:

يعتبر المعتقد قوام الظاهرة الدينية باعتباره شكلا من أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية، المنبثقة من الحيز الانفعالي العاطفي للوصول إلى التأمل الذهني<sup>1</sup> باعتبار أن المعتقد يعطى للخبرة الدينية شكلها المعقول الذي يقنن المواجهة مع المقدس<sup>2</sup> و قد أثبتت المجتمعات القديمة أن المعتقد يأخذ طابع الجماعة، فليس هناك معتقد فردي خاص به فقط لأن ذلك يؤدي إلى تضارب السلوك و الأفعال<sup>3</sup> لذلك يسعى مؤسسو الأديان وأصحاب الفلسفات الكبرى إلى التبشير بأفكارهم وحث الناس على اعتناقها، وهذا ما أثبتته تاريخ الأديان فمثلا الديانة المناوية على يد ماني و الزردشتية على يد زارادشت... إلخ، كل تلك الديانات والمعتقدات لم تأخذ الطابع الديني العقائدي إلا بواسطة الطابع الجماعي والاعتناق الجمعي العقدي في الديانات.

إن المتمثل لطبيعة المعتقد يجده يعتبر عن مجموعة من الأفكار الواضحة والمباشرة باعتباره يرسم صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضيح تلك الصلة بينها وبين الإنسان، وغالبا ما تصاغ في شكل صلوات وتراتيل: غرضها البعد العقدي الديني المعبرة عن تواصل الإنسان أو المقيد بالمطلق.

## -الطقس:

إن الحديث عن الطقس هو حديث عن الخبرة الدينية والحالة الشعورية الانفعالية التي تستدعي القيام بعمل السلوك ما، وذلك من أجل إحداث نوع من التوازن النفسي والجسدي معا، والطقوس عبارة عن معاني روحية وعقدية يتذوقها المؤمن ويعيشها أثناء الممارسة الفردية والجماعية<sup>4</sup>، ولعل الإيقاع الموسيقي والرقص والحركات أول أشكال السلوك الاندفاعي الذي يحول الطقس إلى طريقة مقننة ناتجة عن التجربة الدينية التي لا تكاد تنفك عن المعتقد<sup>5</sup>، فالصلاة في المعابد وإنشاء التراتيل

المرجع نفسه، ص 47.

المرجع نفسه، ص 48.

المرجع نفسه، ص 49.

ص 283. مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق،<sup>4</sup>فراس السواح: دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني مرجع سابق، ص 53.<sup>5</sup>

كانت الأنموذج الأكثر شيوعاً للطقس المنظم إضافة إلى حلقات التصوف وغيرها<sup>1</sup>، إلا أن ذلك لا يعني أن الطقس مجموعة من الإيماءات والحركات التي تترجم ما نشعر به، بل له دور عظيم في خلق الشعور الإيماني بشكل متجدد، ذلك أن الطقس والمعتقد دائمين التفاعل مع بعضهما البعض<sup>2</sup>، لأن الوحدة الإيمانية ناجمة عن المعتقد المترجم في شكل طقوس دينية تربط الصلة بالمقدس، وإن المتمثل للدين عامة نجد أن الطقس أكثر العناصر الدينية بروزاً، فبفضله نفرق بين الظواهر الدينية المختلفة حسب زمانها ومكانها وطبيعتها.

### - الأسطورة:

الأسطورة لغة: لغة كما ورد في (لسان العرب) في مادة سطر «السطر والسطرُ الصّف من الكتاب والشجر والنحل ونحوهما والجمع من كل ذلك أسطرٌ وأسطارٌ وأساطير والسطر، الخط والكتابة»<sup>3</sup> كما يرى ابن منظور أن «الأساطير أباطيل والأساطير أحاديث لا نظام لها»<sup>4</sup> كما نجد كلمة (أسطورة) في القرآن الكريم لقوله تعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾<sup>5</sup> وقوله أيضاً ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾<sup>6</sup>.

أما في الغرب فهي مشتقة من لفظة (my those) التي كانت تعبر عن تعبير عن تعبير الإنسان الرمزي<sup>7</sup>، ثم تطور مفهوم الأسطورة حتى أصبحت تدل على قصة شخص ما و شعب ما في منظور معين، كما تعني عند البعض حكاية خرافية<sup>8</sup>.

أما المعنى الاصطلاحي للأسطورة فيمكن إدراجه مثلاً في رأي الدكتور خليل أحمد خليل الأحاديث التي لا أصل لها، أي الأحاديث العجمية الخارقة للطبيعي والمعتاد عند البشر وما يميزها عن

<sup>1</sup>. المرجع نفسه، ص 54.

<sup>2</sup>. المرجع نفسه، ص 55.

<sup>3</sup>. ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 362.

<sup>4</sup>. المرجع نفسه، ص 363.

<sup>5</sup>. سورة القلم، الآية 01.

<sup>6</sup>. سورة الأحزاب، الآية 06.

<sup>7</sup>. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ط3، دار العودة، بيروت، 1981، ص 223.

<sup>8</sup> Paul Robert , **le petit robet** – Avenue parmentier – paris , G 6 édition 1986 – p 1251.

الخرافة هو الاعتقاد فيها، فالأسطورة موضوع اعتقاد<sup>1</sup>، فهي مرتبطة بالجانب الديني بالاعتقاد الديني، حيث تكون بمثابة امتداد طبيعي له، فهي تعمل على توضيحه وتثبيته، ليصبح متداولاً بين الأجيال<sup>2</sup> وذلك من خلال القصة السردية، فهي تتحدث عن تاريخ الآلهة أو تاريخ الأبطال والأجداد، وقد تكون سيرة حيوانات، كما أنها مزودة بذلك الجانب الخيالي المرتبط بالعواطف والانفعالات الإنسانية، كما يرى (فراس السواح) المتوغل في دراسة الأسطورة وتاريخ الأديان، فهو يؤكد أنها حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان<sup>3</sup>، ولم يقتصر الأمر عند هذه الحدود، بل تجاوزها لتصبح حكاية مقدسة ذلك أن المعتقد والأسطورة أساس النظام الديني، وهذا ما أضفى على الأسطورة صفة القداسة الدينية.

### -الرمز:

على الرغم من الطرح السابق الذي يتضمن كل من المعتقد والطقس والأسطورة، وهي العناصر الثلاثة التي أكد الدكتور (فراس سواح) أنها المكونات الأساسية للظاهرة الدينية إلا أن الأمر قد يتعدى ذلك لضم مفهوم الرمز، ذلك أن المعاني الدينية لا بد أن يكون لها رموز تميزها. الرمز في المعنى اللغوي هو العلامة والإشارة والإيماء<sup>4</sup>، ومصطلح الرمز مشتق من الكلمة اليونانية (sumballien) «سومبالين» والتي تعني التوثيق أو الربط، والرموز في (sumballan) علامة التعارف<sup>5</sup>.

أما المعنى الاصطلاحي للرمز فهو ما دل على الأشياء، ودلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية و معاني متصورة كدلالة العَلَم على الدولة<sup>6</sup>، وبذلك يمكن تقسيم الرمز إلى قسمين: قسم مرئي (الدال) ويكون محملاً بالحد الأقصى من التجسيم، والقسم الثاني (المدلول) أي اللامرئي الخفي،

1. خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط3، دار الطليعة، بيروت (دس ن)، ص 02.

2. محمد عبد المعين خان: الأساطير والخرافات عند العرب، ط3 دار الحدائق، لبنان (دس ن)، ص 20.

3. فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ط1، دار علاء الدين للنشر، سوريا، 1997، ص 14.

4. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص 612.

5. لوك بنوا: إشارات الرموز وأساطير، تر فايز نفش، ط1، دار عويدات، لبنان، 2001، ص 32.

6. عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000م، ص 384.

وما يعادل الرمز في معناه الظاهري والباطني: الصورة دال، استعارة، شعار الرسم، أيقونة خرافية<sup>1</sup>، أسطورة... الخ، كما يضم الرمز كل من اللغة والفن والعالم الأسطوري الديني، حيث تشترك هذه العناصر الثلاثة في تمثيلات متخيلة أو فعلية لها في ذهن الإنسان ذات دلالات متعددة، فرمز القمر يشير إلى صورة نجم في الليل، لكنه يدل أيضا على الأنوثة والخصوبة والأحلام<sup>2</sup>، والأمر الواضح الجلي للعيان أنه لا يمكن فصل الرمز عن الظاهرة الدينية، وذلك راجع للبعد الديني لبنية الرمز باعتباره أساسا من أسس الحياة الدينية البشرية، وبالرموز يصبح العالم «شافا»، قادر على إظهار التعالي المنوط بالدين<sup>3</sup> فالإنسان المتدين يضع مجموعة من الرموز، ويحيط نفسه بها لكي تذكره بالقداسة لأنها تعمل على مد جسر التواصل الحقيقي مع الآلهة.

جيلبير دوارن: الخيال الرمزي، تر: علي المصري، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1991، ص10.<sup>1</sup>

جان فرانسوا دورتيه: معجم العلوم الإنسانية، ط1، تر: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي) 2009، ص 446.<sup>2</sup>

مرسيا إلياد: المقدس والعادي، تر: عادل العوا، دار التنوير لبنان، 2009، ص 160.<sup>3</sup>

## خلاصة الفصل:

على ضوء ما ورد سابقا يمكننا أن نتوصل إلى نتيجة تتمثل فيما يلي: أن للدين مكانة هامة، فالفكر الإنساني، الذي لم يفارقه بتاتا باعتباره أساسا راسخا للوعي البشري الذي يبحث عن القداسة في كنف الإله المفارق المتجاوز للكون، لذلك لجأ الإنسان الديني إلى التقرب منه بطرق ووسائل مختلفة شكلت أسس ومكونا رئيسية للدين، والتي تتمثل في المعتقد والطقس والأسطورة والرمز، فلا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية في تبديها الجمعي بدون والتعرف عليها مجتمعة متعاونة، وإن الحالة المثالية هي الحالة التي لا يطغى فيها أحد هذه العناصر على العناصر الأخرى، لكن نادرا ما يكون هناك هذا التوازن بين هذه الأساسات، لأن كل ديانة يطغى فيها عنصر على الآخر، إلى جانب هذه المكونات الأساسية، توجد مكونات ثانوية لا تلعب دورا أساسيا في تكوين الفكر الديني، وإنما تظهر كعوامل مساعدة ضمن سياقات تاريخية وإجتماعية معينة، وهي الأخلاق والتشريع، وفي خضم هذه المكونات الأساسية للدين، لا بد التطرق للمقدس، لأنه قوام الظاهرة الدينية، فكل معتقد أو طقس أو أسطورة أو رمز يسعى للحاق بالقداسة، والتقرب منه أو تجسيده، فكيف يمكن اللحاق بالمقدس؟ وهل القداسة مفارقة لهذا الوجود أم لها أبعاد تجسدها في العالم؟

## الفصل الثالث: المقدس والأسطورة في فكر مرسيا إلياد

تمهيد

المبحث الأول: أبعاد فكرة المقدس

المطلب الأول: علاقة المقدس بالمكان

المطلب الثاني: علاقة المقدس بالزمان

المطلب الثالث: علاقة المقدس بالتاريخ

المبحث الثاني: الميتولوجيا في البعد الديني

المطلب الأول: الأسطورة و فكرة الدين

المطلب الثاني: رمزية الأسطورة وفكرة المقدس

المطلب الثالث: رمزية الأسطورة لدى المقيد

خلاصة الفصل

أثبت تاريخ الأديان والبحوث الأركيولوجية والفكرية أن الفكر الديني كان لا يزال يتمحور حول فكرة القداسة والمقدس، باعتباره يمثل العالي و المطلقة التي تفضي في مجملها مفهوم الآلهة أو الإله المفارق الذي يتجلى في الكون والوجود، وهذا ما جعل للمقدس أبعادا تعبر عنه في العالم الذي يحتوي على نوع أو قبس من القداسة، حيث اشتركت كل الأديان والثقافات الإنسانية على تقديس أشياء معينة، فالظاهرة الدينية تقوم على الانقسام الثنائي للعالم إلى مجالين هما المقدس والدنيوي، وعلى هذا الأساس يمكن صياغة الفكر الديني بوصفه نسقا متضمنا من الاعتقادات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة التي تعبر على المقدس، خصوصا وأن إلياد قد نوّه إلى أن الإلهي لا يتجلى في صورته الخالصة التامة والحقيقية المطلقة في الديانات، وخاصة الديانة التوحيدية، وإنما يظهر بما يدل ويرمز إليه من خلال أمكنة وأزمنة وتواريخ معينة، فتجسدها طقوس دينية، كما تخلدها وتحفظها الأسطورة، فالشعور الإيماني للإنسان المتدين، الذي يبحث عن المقدس ويتشبث بكل شيء يعبر عن العالي، و تجاوز كل ما هو دنيوي عادي لعبوره للمقدس والتقرب من المتعالي.

## المبحث الأول: أبعاد فكرة المقدس

يعتبر مفهوم المقدس من المفاهيم الضاربة بجذورها في تاريخ البشرية القديم، فأخذ الكثير من الأبعاد والاتجاهات في بيئة الإنسان، وقبل الخوض في الحديث عن أبعاد المقدس لابد أن نحدد مفهوم المقدس.

**المقدس محاولة تحديد :** إن عملية حصر مفهوم المقدس من وجهة نظر وحيدة أو داخل حقل معرفي معين في حقول المعرفة الإنسانية أمر في غاية الصعوبة، لأن مفهوم المقدس يرتبط بال مجرد متجاوزا كل ما هو محسوس، لذلك نجد أن هذا المفهوم قد حاز على اهتمام عميق في التعريفات والمقاربات والتأويلات التي تناولت فكرة المقدس.

فالمقدس في لسان العرب هو المبارك، ويقال أرض مقدسة أي مباركة، قدس تقديس، أي تنزيه الله عز وجل<sup>1</sup>، أما في موسوعة لالاند الفلسفية يعتبر المقدس كل ما يتعين عليه أن يكون موضوعا، احترام ديني من قبل جماعة من المؤمنين<sup>2</sup>، ولم تنفصل فكرة المقدس عند البعد الديني، أو الدين في كل التعريفات اللغوية والإصلاحية، حيث نجد تعريف عالم الاجتماع إميل دوركايم للمقدس الذي حدد قدسية المقدس بما يعارضها بشكل كامل عن مجال المدنس، لأن المدنس يرمز إلى ما هو دنيوي ونجس، فالمقدس يعارض كل ما هو دنيوي ويرقى عنه.

## المطلب الأول: علاقة المقدس بالمكان

يرى إلياد أن المقدس قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمكان، فعلى الرغم من أن المقدس مفارق لما هو دنيوي، إلا أنه يتمتع ببعده عميق في المكان، الشيء الذي أولي تقديس المكان، فعلى الرغم من اختلاف الأمكنة وتنوعها إلا أن هناك أماكن مقدسة حيث يؤكد إلياد أن المكان غير متجانس بالنسبة للإنسان المتدين، لأنه يوجد أجزاء من المكان مختلفة نوعيا عن بعضها، وهذا ما أكدته

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب مرجع سابق، ص 335.

<sup>2</sup> أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر خليل أحمد خليل، ط 2، منشورات عويدات، لبنان، 2001، ص 105.

الأديان حيث ورد في الإنجيل «ألا تقترب من هنا، قال الرب لموسى اخلع نعليك من رجلتك لأن المكان الذي توجد فيه هو أرض مقدسة»<sup>1</sup>، كل الأديان السماوية ربطت أمكنة بالمقدس، فأصبحت مقدسة بحلول فكرة المقدس بهذه الأمكنة، ولقد وردت لفظة المقدس في ثلاث آيات قرآنية، كما اختلف المفسرون والمؤرخون حول تحديد المقدسات على نحو منضبط، حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>3</sup> هناك الكثير من الأماكن التي تمتعت القداسة، المسجد، المعبد الكنيسة ... إلخ.

فللمكان المقدس قيمة وجودية عند الإنسان المتدين، فالمعابد تشكل فتحة ونافذة مع المقدس حيث تضمن التواصل مع عالم الآلهة، فإن كل مكان يقتضي تجليا للمقدس وانقطاعا له<sup>4</sup>، لأن الإنسان المتدين لا يستطيع العيش إلا في مكان مشبعا بالقداسة، ولهذا السبب أقيمت تقنيات التوجه إلى إنشاءات للمكان المقدس<sup>5</sup>، الذي يعيد فيه إنتاج عمل الآلهة، فإن القداسة التي اكتسبتها الأماكن راجعة إلى تجليات الآلهة المقدسة التي تتمثل من جديد من خلال الطقوس التي تقام فيها، وبما أن مرسيا إلياد يعتبر من علماء الأنثروبولوجيا، نجده أكد على قدسية المكان بمثال من الطقوس الفيديوية لنيل حيازة إقليم و تبعا لهذه الطقوس، فلا تتم هذه الحيازة قانونا إلا بإقامة مذبح للنار يصبح الاتصال مع عالم الآلهة المقدسة (لاغني Agni)، فإنشاء مذبح للنار يصبح الاتصال مع عالم الآلهة مضمونا، وبهذا يصبح المذبح مكانا مقدسا<sup>6</sup>، فكل مكان مقدس ينطوي على انبثاق للمقدس، وهذا ما يولد الرغبة الملحة للمتدين المتمسك بهذا المكان الذي يتجسد فيه اتصال الإنسان المقيد بالمقدس فيضمن أنه قريب من المطلق، وأن هذه البقعة أقرب مكان تسمو فيه روح المقيد إلى المقدس،

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للطباعة، سوريا، 1988 م، ص 28.

<sup>2</sup> سورة طه الآية 11.

<sup>3</sup> سورة المائدة الآية 21.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص135.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص30.

<sup>6</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص59.

لذلك جزم إلياد أن هناك فرق كبير بين المكان المقدس والمكان العادي، وهذا يظهر عدم تجانس المكان عند المتدين، «فأي كنيسة تمثل انقطاع المكان وتدل العتبة التي تفصل بين المكانين والعالمين العادي والديني المقدس<sup>1</sup>»، فالأمكنة المقدسة والعادية قد تشرك في بقعة واحدة، لكن شتان بين أهمية وقيمة المكان المقدس مقارنة بالمكان العادي المدنس الديني.

### المطلب الثاني: علاقة المقدس بالزمان

و لا تقل قدسية الزمان عن قدسية المكان، فكلاهما يمثلان (أصل العالم)، وذلك من خلال حضور المقدس في هذه الأزمنة المقدسة، فهناك فترات زمنية أفضل من الأخرى، فالزمان كالمكان ليس في نظر المتدين تجانس ولا اتصال، فهناك فترات من (الزمان) تكون مفعمة بالقداسة كزمن الأعياد، (وهي في الغالب أعياد دورية) وفي المقابل هناك زمن غير مقدس<sup>2</sup>، أو العادي الخالي من الدلالة الدينية، كما يرى إلياد الزمن المقدس يتجلى في العديد من المظاهر كالأعياد والشعائر، فالزمن المقدس يظهر في الأعياد التي تخلد زمن وذكرى الآلهة<sup>3</sup>، كما أنها تتشكل الظهور الأول للزمن المقدس مدعم بالنشاط الإلهي.

يؤكد مرسيا أن التاريخ القديم والأساطير المتأصلة عن الإنسان المتدين كلها أثبتت أن المتدين كان يفرق بين الأزمنة باعتباره يهتم اهتماما بالغا بالفترات المقدسة لأنها تمثل زمان المقدس فقداسته راجعة للآلهة<sup>4</sup>، على عكس الإنسان غير المتدين الذي لا يفرق بين الأزمنة المقدسة والعادية (المدنسة)، فمثلا «القداس الديني الذي يجرى داخل الكنيسة يؤلف انفصاما عن الديمومة العادية للزمن، والزمن التاريخي ليسوع المسيح (الزمان) هو زمن تقديس بوعظه واستشهاده وموته وبعثه»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 62.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 195.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 164.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 104.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 106.

هذه الفترة الزمنية تجسد فيها حضور الإلهي المقدس الذي أضفى قدسية على هذا الزمن ذلك أن أقدم صورة لعلاقة الإنسان بعالمه هي تلك العلاقة المشبعة بالتعلق بالمقدس وإضفاء معانيه على الزمان والمكان والنفور من المدنس، حيث كان الديوي قديما مغمورا بالمقدس<sup>1</sup> الذي كان يملأ فضاء وفكر المتدين الذي كان دائم السعي للتعلق بالمطلق، فكل وقت طقوسي، وكل الشعائر التي يقوم بها كان المراد منها المرور من الزمن العادي الديوي المقدس المستفيض بالمطلقية.

وهذا ما أورده إلياد في طرحه حول المقدس والزمان الذي يمكن استعادته لأنه زمن انطولوجي بامتياز<sup>2</sup>، يعيشه الإنسان المتدين ويلمس تلك القداسة و يجيهاها، فهو تجربة وجودية وحياة شعورية تترسخ بطقوس مرافقة للزمن المقدس، فالقداس الكنسي والحج والاعتمار والصوم، كلها طقوس وشعائر تعيد الزمن المقدس، لأنها كلها مرتبطة بالمطلق، بعيدة عن دناسة الديوي العادي.

### المطلب الثالث: علاقة المقدس بالتاريخ

ليس هناك فرق بين علاقة المقدس بالمكان والزمان، وعلاقته بالتاريخ خصوصا وأن إلياد مؤرخ أديان في بعده الفكري، فقد اهتم بتاريخ الدين والمقدس وعلاقته بالإنسان منذ فجر التاريخ، فالتاريخ يكشف حضور الإله في العالم وبهذا يصبح التاريخ تاريخ المقدس كما فهم في التاريخ الأسطوري في الديانات البدائية القديمة<sup>3</sup>، حيث ذهب المسيحية التي تقدر الزمن التاريخي، لأن الإله كان قد تشخص وإنه إضطلع بوجود بشري مشروط تاريخيا، وانطلاقا من ذلك يصبح تاريخي محدد بوضوح<sup>4</sup>، فالشخصية التاريخية ليسوع المسيح لها هدف تاريخي هو إنقاذ للإنسان والبشرية كافة، وبعد ذلك تتجسد القداسة في تاريخه، إن فكرة التاريخ نالت بعدا فلسفيا عند فلاسفة كثر كان هيغل أبرزهم

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، تر عبد الهادي عباس، ج 2، ط1، دار دمشق للنشر، سوريا، 1986، ص 47.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 112.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 83.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 84.

الذي يستعيد الإيديولوجيا اليهودية والمسيحية، ويطبقها على التاريخ الشامل في كليته والروح الشمولية التي تظهر باستمرار في الأحداث التاريخية<sup>1</sup>.

فالتاريخ كان مفعما بالمقدس، وحضوره في الأزمنة التاريخية المتعاقبة مرارا عبر سيرورته ذلك أن العيد الديني هو إعادة في الحاضر لحادث أولي لتاريخ المقدس الذي صنعه الآلهة أو الكائنات شبه الإلهية، تلك الأساطير كانت تسرد تاريخ المقدس وإحياء الزمان والتاريخ المقدس (التاريخ الأولي للمقدس)<sup>2</sup>. لأن مختلف مراحل الحياة بالحدث الحاصل في الزمن القديم الذي سيجد التاريخ الذي يضيفي الشعور بالأصل المطلق للعالم من خلال ذلك التاريخ المقدس الذي حفظته الأساطير المختلفة و المتنوعة بتنوع المجتمعات عبر الأزمنة فالإنسان المتدين يعتبر التواريخ الصادقة هي تواريخ تتحدث عن أصل العالم و بدايته لان الفاعلون في هذا التاريخ هم الكائنات الإلهية<sup>3</sup> المقدسة المطلقة لان هذه التواريخ تعتبر صادقة لدي المتدين لشعوره بالامتثال أمام المقدس و علي النقيض من ذلك تكون التواريخ الكاذبة<sup>4</sup> التي تحمل محتوى عادي (مدنس)، إن كل الأديان و الكتب المقدسة علي التاريخ المقدس الذي كان محملا بالقداسة. فتلقى موسى الشريعة في مكان معين وزمان معين و تاريخ معين و التي تعبر في مجملها على الأصل الجوهرى للعالم أو نهايته عند نهاية التاريخ المقدس أو عدم تكراره فعندما يأتي المسيح يخلص العالم نهائيا و يتوقف التاريخ<sup>5</sup> في هذه اللحظة لأنها تعبر عن نهاية التاريخ المقدس الصادق وكل تاريخ عدا ذلك يعتبر باطلا لا طائل منه لان التاريخ المقدس لا يحفل بغير الأحداث الناجمة عن عالم الآلهة الذي ينشده البشر. فالأساطير أثبتت أن الأحداث الدنيوية العادية عن أساطير تاريخ المقدس الخالد مثل (ملحمة جلجامش و أسطورة اخيلوس... الخ)<sup>6</sup> فكل ذلك يؤكد أن علاقة المقدس بالتاريخ هو تاريخ المقدس ذاته يتجسد في صورة ينشدها الدنيوي.

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 145.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: ملامح من الأسطورة، تر حسيب كاسوحة، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1990، ص 120.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 14.

<sup>4</sup> رودولف اتو: فكرة القدسي، ط، دار المعارف الحكيمة، (د،ب،ن)، 2010م، ص 203.

<sup>5</sup> مرسيا إلياد: اسطورة العود الابدي، تر نهاد خياطة، ط، دار طلاس للترجمة و النشر، سوريا، 1987، ص 129.

<sup>6</sup> فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 1997ص، ص 105.

## المبحث الثاني: بنية الميثولوجيا في البعد الديني

## المطلب الأول: الأسطورة وفكرة الدين

إن المتأمل في تاريخ الفكر الأسطوري، يجده لا ينفك عن البعد الديني، وهذا ما أكد مرسيا إلياد خصوصا أنه أنثربولوجي يُعني بتاريخ الشعوب والمعتقدات الدينية، فهو يعتبر الأسطورة عبارة عن حدث ديني يروي قصة مقدسة أو أحداثا جرت في الزمن الأول، فالأسطورة لا تكاد تخرج عن فكرة المقدس وعلاقته بالعالم والمقيد معا، كما نجده يذهب إلى أكثر من ذلك فهو ينفي عن الأسطورة كل ما هو غير ديني، لذلك نجده قد انتقد من يعتبر الأسطورة كلاما لا أساس له من الصحة فهو يقول: «كان المفكرون الغربيون حتى نهاية القرن 19 يعتبرون الأسطورة بمعناها الشائع حكاية وكلاما ملفقا ووهما»<sup>1</sup>، الأمر الذي دفعه إلى إدراج تعريف للأسطورة فيعرفها بقوله: «الأسطورة هي رواية لتاريخ مقدس عن أحداث في الزمان الأول قامت بها الآلهة والكائنات العظيمة»<sup>2</sup>، وهكذا تناول الأسطورة تاريخا ووقائع حقيقية في نظر الإنسان القديم، ذلك هو تاريخ المقدس وشخصياته هي الآلهة التي حددت شرط الحياة للإنسانية، ومهما تنوعت مواضيع الأساطير واختلفت باختلاف القبائل والعشائر والشعوب والمجتمعات، إلا أنها لا تخرج عن الإطار الديني فهناك أساطير تحدثت عن خلق الكون وشرط وجوده، وتعلم كيفية أداء الطقوس والعبادات وتاريخ المقدس الديني<sup>3</sup> الذي كان يشغل الفكر الإنساني المنبهر بالمقدس، فكان يسعى للحاق بكل ما هو قدسي الأمر الذي كرسته الأساطير وتاريخ الأديان، فالإنسان القديم كان دائم السعي للتحرر من الخوف والألم والقلق وتجاوز الذات إلى الأرقى والأسمى<sup>4</sup>، لذلك ارتبطت الأسطورة بالدين ارتباطا وثيقا. فثمة إجماع علي أنها تضمنت أساطير وتاريخ الآلهة، ويضلل ذلك مرتبطين بمعتقدات الشعوب حيث تلعب دورا مهما في العقيدة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق، ص 5.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 7.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: ملامح من الأسطورة مصدر سابق، ص 8.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: التنسيب والولادات الصوفية، تركاسوحة، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1999، ص 40.

<sup>5</sup> فضيلة لكبير: دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر، باتنة،

2006-2009، ص 20.

وهكذا لم تخرج الأسطورة عن البعد الديني الذي كان مجسداً فيها، وفي رواياتها لذلك وجد ما يعرف بالأسطورة الدينية التي تسرد الطقوس، وترسخ العقائد فهي تعبر عن الخبرة الإلهية<sup>1</sup> من خلال تقديم القرابين والصلوات، ومن بين هذه الطقوس نجد الصلاة، حيث كان المصلي يتلو نصوصه في المعبد مثل صلاة "سن" إله القمر في العصر الآشوري.

### صلاة سن:

أي إلهي سن إلهي ن نار  
أيها الإله الفذ صانع الشعاع المضيء  
واهب النور إلى الناس جميعاً  
ومسدّد خطى ذوي الرؤوس السود  
نورك وضاء في أعالي السماء... إلخ<sup>2</sup>.

حيث سجلت الميثولوجيا الصلوات المتنوعة بتنوع الآلهة المقدسة، ففي المعتقدات الهندية سجلت الأساطير أن جبل "ميرو"، « meru » في مركز العالم فوقه يتلأأ نجم القطب وبحسب الجبل المقدس (هوابرازانتي) في منتصف الأرض ويتصل بالسماء<sup>3</sup>، وكما حملت الثقافة الهندية الدينية عدد لامتناهي من الميثولوجيا، حيث كانت تروي الحركة الدينية الكبرى مثل الديانة "الشاكتية"، « saktisme » و"التانترية" « tantrisme » أو عبادات الآلهة العظمى بمختلف أشكالها، حيث تدل "شاكتي" على الجوهر المؤنث يعني القوة التي تألفت في جميع طاقات الآلهة التي سحقت إبليس، وأنقذت العالم<sup>4</sup> وهي جزء من "التانترية" التي يدين بها الكثير من الهندوس، إضافة إلى أسطورة "ديفي" التي خرجت من الإلهة "شيفا" التي تفجرت من الآلهة علي شكل نار متصاعدة

<sup>1</sup> فراس السواح: الدين والأسطورة كنظامين مستقلين ومتقاطعين، مجلة الموقف الأدبي، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 264، نيسان، 1993، ص 6.

<sup>2</sup> فضيلة لكبير: دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي مرجع سابق، ص 50.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: أسطورة العود الأبدي مصدر سابق، ص 32.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 224.

فسحقت إبليس<sup>1</sup>، فالأسطورة تعنى بنظام ديني تعمل على توضيح المعتقدات والطقوس، فهي تتمتع بقداسية من نوع خاص، وعنصر القداسة هو الذي يضفي عليها التميز، الشيء الذي جعلها مصدر إيمان للشعوب<sup>2</sup>، فروايتها تتضمن إيماناً لا يتزعزع، فمضمونها رسالة أبدية أزلية موجهة للبشر فهي حقائق خالدة تقوم بتوطيد الصلة بين العالم الدنيوي والعالم المقدسة، فهذه أسطورة البطل المؤله التي تعبر عن حكم الآلهة وتسييرها لشؤون البشر، حيث أكدت هذه الأساطير حق الآلهة التي لا يمكن للبشري أن يتعدها وإلا سوف يتعرض للعنة الأبدية<sup>3</sup>، كل ذلك يرسخ القيمة الدينية المقدسة للميثولوجيا التي تعتبر دينية بامتياز.

### المطلب الثاني: رمزية الأسطورة وفكرة المقدس

يرى مؤرخ الأديان مرسيا إلياد أن الأسطورة ذات بنية دينية، باعتبارها تضم تاريخ المقدس والمقدسات عامة لكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، بل أكد إلياد أن الميثولوجيا عبارة عن رموز، حيث تحدث عن الرمز الذي يتمركز حول الأسطورة التي حملت العديد من الرموز الدالة عليها، فالإنسان الأول أحاط نفسه بمجموعة من الرموز التي كانت تقضي في مجملها للوصول إلى كل ما هو مقدس مفارق للعالم المدنس والسمو إليه، فالرمز يعد شكلاً من أشكال التفكير الأسطوري الذي يعكس التجربة الدينية، كما أنه يعبر عن التعقيد الذي يطال المقدس في تظهره من جهة، وعن علاقته بالوجود الإنساني من جهة أخرى<sup>4</sup>، فمعظم الأساطير كانت مشبعة بعدد لا متناهي من الرموز الدالة على القداسة بصورها المختلفة، حيث يرى إلياد أن الرمز ليس علامة تعسفية معلقة في الفراغ، فكل الأديان البدائية والمتمدنة (الحضارية) كانت مفعمة بعالم من الرموز<sup>5</sup> فهي تدعم الرؤية الدينية التي عادة لا تكاد تنفك عن الطابع أو القالب الميثولوجي.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 227.

<sup>2</sup> فاطمة شكشاك: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص 60.

<sup>3</sup> بول ديكسون: الأسطورة والحدائث، تر خليل كلفت، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، 1998، ص 58.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 28.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 50.

تحدث إلياد عن الكثير من الأساطير التي خلدت فكرة مركز العالم، فهذه الأسطورة تناولتها الشعوب الأولى، فالمعابد والأبراج المقدسة في بابل تحمل أسماء تشهد على تمثيلها بالجبل الكوني (جبل البيت)، الذي يمثل صلة بين السماء والأرض، فهو يمثل مركز العالم وكانت بابل (باب إيلاني) أي باب الآلهة، حيث كانت الآلهة تنزل على الأرض في عاصمة الملك<sup>1</sup>، فكثيرا ما تحدثت الأساطير عن الرموز التي تتجلى فيها الآلهة، وبذلك تصبح تلك الرموز مقدسة، كذلك روى إلياد أساطير عن رمزيات الصعود فهناك ميثولوجيا تتحدث عن رموز الطيران التي تخص الآلهة والحكماء والحكام والكهان، ففي العقيدة الطاوية هناك عبارات تدل على الكاهن مثل (العالم ذي الريش) أو (الضيف ذي الريش) دلالة على الصعود إلى السماء والتحليق والطيران، فيقال في اللغة الصينية يتحول المرء بواسطة الريش إلى كائن آخر، وبذلك يتاح له الصعود إلى السماء مثل كائنات لا يدركها الموت<sup>2</sup>، فريش الطيور هو أحد الرموز الأكثر شيوعا على الطيران بالنسبة للشامان، الذي يسعى إلى اللحاق بالكائنات المقدسة، ويتعد عن كل ما هو دنيوي عادي للتشبه بالمقدس السماوي الذي يتمثل في نظر إلياد الحياة الدينية التي كثيرا ما تظهر في صورة أسطورية رمزية، فالرمز الديني يبلغ رسالته حتى لو لم يدرك بوعي كليته، لأن الرمز يتوجه للبشر بكليته وليس للعقل فقط<sup>3</sup>، وبذلك بتشكيل المفهوم ثلاثي (الأسطورة، الرمز، الدين) كلها أوجه لمفهوم واحد مشترك يسمى برمزية الأسطورة الدينية (المقدسة).

خلال بحث مرسيا إلياد في تاريخ الأديان وجد حديث وأساطير كثيرة عن المياه، وهذا ما يعرف برمزية المياه أو رمزية الماء (الطوفان) هي الأوسع والأشد تعقيدا، فالمياه ترمز إلى مجموعة القوى الكامنة، وإلى جملة الإمكانيات الكونية فهي تمثل ينبوع والأصل باعتبارها تسبق كل شيء وتدعم كل الخلق، فقد تحدث إلياد عن الطوفان العظيم الذي رسخه التاريخ والأساطير السومرية في بلاد ما

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: أسطورة العود الأبدي مصدر سابق، ص 36.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق، ص 161.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 90.

بين النهرين، حيث تتضمن رمزية المياه على الموت والانبعاث<sup>1</sup>، الذي كان محور اهتمام الإنسان في التاريخ الأول الذي قدس المياه وجعلها رمزا للحياة، حتى أنه قدسها وألّها وبذلك تتجلى وضعية الرمز في إمطة اللثام عن واقع لا يتيسر فهمه أو إدراكه بوسائل أخرى للمعرفة<sup>2</sup>، ذلك أن الأسطورة الرمزية تتحدث عن كائنات مفارقة للعالم المادي الإنساني، فالآلهة بجوهرها الميتافيزيقي تمتلك التعالي عن كل ما هو دنيوي، لذلك لجأ الإنسان إلى الرموز لتقريب تلك الأفكار والمعاني التي تتحدث عن المقدس، فالفكر الرمزي يفضي إلى تفجر الواقع المباشر، لكنه لا يخفى منه ولا يحط من شأنه<sup>3</sup>، بل يسعى تقريب الأفكار المفارقة.

حيث يمكننا القول أن السلوك الرمزي للإنسان كان في أساس الوجود البشري العقلي والديني والاجتماعي قصد اكتساب المعارف أو تقريبها، تلك المعارف الإلهية التي تفوق كل ما هو دنيوي وإنساني، فاللجوء للرموز كان غرضه تقريب الأفكار الغير مباشرة في صورة مباشرة حيث أكد إلياد استحالة تواصل بين البشر دون رموز خصوصا على الصعيد الديني أو ما يسمى بالأسطورة الدينية الرمزية.

### المطلب الثالث: رمزية الأسطورة لدى المقيد

لطالما شكل الرمز والأسطورة ثنائية فكرية إنسانية دينية عقائدية تاريخية اجتماعية، فكلاهما عملا على ترسيخ المبادئ الحياتية والاجتماعية، التي كانت تسير وفقها الشعوب والقبائل والعشائر، الأمر الذي أعطى أهمية ودور كبير لهما بالنسبة للفرد خاصة والشعوب عامة فالرموز الميثولوجية الدينية كثيرا ما لعبت دورا رياديا في تقوية الإيمان و بناء القناعات القيمة لدى الفرد، لكن يتشاركها مع بقية المجتمع أو يعمل على توجيه سلوكه في اتجاه معين لتكيف مع الجماعة<sup>4</sup>، الرموز الأسطورية لها الأثر البالغ في تحديد نمط حياة المجتمعات من الناحية السياسية والاقتصادية والدينية والحضارية بشكل عام،

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: صور ورموز، تر حسيب كاسوحة، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1990، ص197.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص229.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص230.

<sup>4</sup> فضيلة لكبير: دور الأسطورة في بناء النظام الاجتماعي مرجع سابق، ص100.

وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية، فالنظام الأشوري وحضارة بلاد ما بين النهرين، وذلك أن الأسطورة الدينية ورمزها أسست البناء الاجتماعي لهذه الحضارات المتعاقبة، والتي كانت متماسكة عن طريق الاستعانة بنماذج ورموز من الأساطير، باعتبار أن رموز الأسطورة الدينية كانت تتفرع لتشمل كافة مجالات الحياة، ومدى تأثيرها على الإنسان الأول<sup>1</sup>، الذي كان يميل للدين الذي اعتبر ركيزة أساسية تميز وجوده، فكان دائم البحث عن رموز دينية داخل حبكة أسطورية فالمعتقدات الدينية لا تغيب أبدا عن فكرية رمزية الأسطورة، فإنسان الحضارات القديمة كان معتمدا على الآلهة كليا في عقله وعمله، ففي أوقات القحط مثلا، الملك الأشوري يقيم مع نوابه والكهنة الصلاة للآلهة من أجل نزول المطر من خلال التراتيل التي كشف مدى تعلق الإنسان بالدين<sup>2</sup>، فرمزية الأسطورة الدينية قدمت للدين جانبه الاعتقادي النظري الذي يبرر جانبه الانفعالي الذي طالما كان يسرد أو يخلد في قالب رمزي ميثولوجي، خصوصا في مجال المقدسات والطقوس التي كانت تنظم موقف الإنسان وسلوكه اتجاه عالم المقدسات وتزوده برؤية شمولية للكون، فالأخلاق الإنسانية التي كانت تسعى للوصول إلى الحسن والخير، والابتعاد عن القبح والشر، وكل هذه المفاهيم لم تخرج عن إطار الرموز الأسطورية<sup>3</sup>، فالإله يحافظ على نظام الكون من خلال قوانين الطبيعة، وهو يحافظ في نفس الوقت على نظام المجتمع الإنساني من خلال القوانين الأخلاقية.

فأسطورة الإله "شمس" الذي كان يعتبر رمز العدالة الذي كان يعاقب الأشرار، ويكافئ الأخيار، حيث عثر على نص يتألف من مئة وستون سطرا في مكتبة "آشور بانيبال" التي خلدت الوصايا الأخلاقية التي يرعاها الإله "شمس"<sup>4</sup>، فرمزية الأساطير تنحت رؤية الإنسان للكون وحددت سلوكه ونمط حياته، فكل الرموز الأسطورية يسرت شؤون العادي الذي يتطلع للقداسة و المطلقية، فكان زواج الآلهة من بين الأساطير التي خلدتها الحضارات القديمة من خلال تحديد نظام الأسرة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 107.

<sup>2</sup> فراس السواح: الأسطورة والمعنى مرجع سابق، ص 140.

<sup>3</sup> فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين و منشأ الدفع الديني مرجع سابق، ص 160.

<sup>4</sup> فراس السواح: الأسطورة والمعنى مرجع سابق، ص 219.

وتكوينها فأسطورة الإلهة **عشتار** وإله **تموز** وقصة زواجهما خلال كل ربيع تعتبر رمزا للخصوبة والأسرة، وبعثا للحياة والتوالد عن طريق التزاوج<sup>1</sup>، الشيء الذي جعل قانون "**حامورابي**" يركز على الأسرة والأولاد وحقوقهم، وذلك عن طريق التأثير برمزيات أسطورة **عشتار** و**تموز**<sup>2</sup>، كما أكد **مرسيا إلياد** على ذلك، فمن خلال بحثه الأنثروبولوجي والفلسفي، أثبت أن الأسطورة وأبعادها الرمزية قدمت نمط عيش وأسلوب حياة ونماذج للسلوك الإنساني، حيث أعطيت قيمة للوجود ومعنى للمقيد<sup>3</sup>. ووظيفة في بناء المجتمعات البشرية التقليدية التي عاشت على ما تقدمه الأساطير ورموزها الذين كان البشر ينشدون محاكاتها، كما يرى **إلياد** أنها قدمت الكثير ووضحت العديد من الرموز من المحرمات والشعائر والأعراف التي أقرتها التقاليد الشعبية، وكل التصرفات التي يقوم بها الإنسان لها ما يبررها ويعللها في الرمزيات الميثولوجية<sup>4</sup>، فمؤرخو الأديان أثبتوا أن الميثولوجيا كانت تشكل الفكر الإنساني ودورها البارز على مسرح التاريخ البشري، الذي عاش على وطأة الأساطير ورموزها المختلفة، حيث أثبت **إلياد** أن الأساطير الحية قادة وتبرير لكل ما يصدر عن الإنسان وفاعلية سلوكه<sup>5</sup>، التي لم تخرج ما حددته تلك الأساطير ورموزها المختلفة المقدسة مدى العادي الذي كان مولعا بالأساطير الرمزية المتنوعة للحقيقة المطلقة<sup>6</sup>، فما هو رمز أو أسطورة في الحاضر قد كان حقيقة في الماضي، هذا ما أكده العديد من الباحثين الذين جزموا أن الحقائق الماضية تحولت إلى أساطير رمزية عديدة عاشها الإنسان في الزمن الأول، ثم خلدها التاريخ الأسطوري الرمزي، كما يرى **إلياد** أن الميثولوجيا مجبولة بالرموز التي اقتدى بها الإنسان الأول وحتى المتمدن، فهي زاخرة بشتى الجوانب التي تهم المقيد (العادي) فتتحكم في بنيتها الفكرية والذهنية والسلوكية، وحتى في مأكله وملبسه وحياته، فأصبحت

<sup>1</sup> عمر محمد صبحي عبد الحي: الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، القاهرة، (د س ن)، ص 134.

<sup>2</sup> Jacques pirenne, **civiltion antiques**, Edition Albin Michel, p 94.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: ملامح من الأسطورة مصدر سابق، ص 06.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 07.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>6</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 126.

تتحكم في وجوده من المهد إلى اللحد<sup>1</sup>، خصوصا أن الأساطير ورموزها لا تخرج عن الإطار الديني المقدس الذي شكل التفكير المحوري للإنسان وتكونه الفكري والثقافي.

---

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 193.

## خلاصة الفصل:

يمكننا أن نستنتج في نهاية هذا الفصل ، فكرة مفادها أن مرسيا إلياد قد خلص إلى أن أقدم صورة لعلاقة الإنسان بعالمه هي تلك العلاقة المشعة بالتعلق بالمقدس، وذلك من خلال إضفاء معانيه على المكان والزمان والتاريخ، حيث تقابلها علاقة مليئة بالنفور من المدنس فالإنسان قديما كان مغمورا بالمقدس، حيث أن الأمكنة والأزمنة والتواريخ ليست متجانسة بالنسبة للإنسان المتدين الذي يفرق بين تلك المفاهيم من خلال تجلي القداسة التي تخرج الأشياء من بعدها العادي لتضفي عليها البعد القدسي، حيث شكل الإيمان جغرافية مقدسة محددة جزء العقيدة الدينية، فلم يكن العالم في هذا الإطار أرضا محايدة، بل أرضا تحمل بعض أماكنها رسالة مقدسة خاصة، ونفس الأمر بالنسبة الزمان والتاريخ المقدسين، فكلها تعتبر أبعادا لتجلي المقدس في هذا العالم، حيث يصبح الإنسان أكثر قربا من السماء وفق صيغة رمزية خاصة مشبعة بالدلالات يرتقي خلالها المؤمن من مكان أو أزمان أو تاريخ عادي إلى القداسة التي تمثل عمق الظاهرة الدينية، وذلك وفق نسق أسطوري يخلد المقدس وأبعاده المتعددة، باعتبار الفكر الميثولوجي لم يفارق الفكر الديني وخاصة دين الإنسان الأول، إضافة إلى المقدس وحتى المدنس، حيث عملت الأسطورة على تخليد أزمنة وأمكنة وتواريخ مقدسة مشبعة مآثر الآلهة المفارقة، وكان ذلك يقودنا للتساؤل على الأدوار المتعددة التي تشترك فيها الأسطورة والرمز في تجسيد الظاهرة الدينية ؟ وكيف يرسخ المقدس كحقيقة داخل نطاقها؟ وما هي خصائص النظرة الإيمانية و الإيمانية للعالم؟

# الفصل الرابع: ميثولوجيا المطلق وعلاقتها بالمقيد لدى

## مرسيا إلياد

تمهيد

المبحث الأول: البعد العملي لفكرة المقدس

المطلب الأول: الأسطورة والرمز الوجودي (البعد الأنطولوجي)

المطلب الثاني: رمزية الأسطورة في محتواها الديني (البعد الإنساني)

المبحث الثاني: منزلة المقدس داخل التجربة الإنسانية

المطلب الأول: المقدس كحقيقة مطلقة وعلة للوجود وطبيعة علاقته بالديوي

المطلب الثاني: خصائص النظرة الدينية للإنسان والكون

المطلب الثالث: خصائص النظرة اللادينية للإنسان والكون

خلاصة الفصل

لطالما اقترنت الدراسات الدينية بجملة في المفاهيم كان لها الأثر البالغ في تكوين الفكر الديني، لذلك برز ما يعرف بتاريخ الأديان وفلسفة الدين كمبحث يدرس ويحلل الظاهرة الدينية التي خلدها جملة من الأساطير و الميثولوجيا، وجسدتها مجموعة من الرموز، لذلك أعتبر كل من الأسطورة والرمز بمثابة الوسيلة المبكرة التي عكست توق الإنسان إلى المعرفة، وإلى محاولة فهم العالم، كما عكست أسلوب الإنسان إلى المعرفة، وإلى محاولة فهم العالم، كما عكست أسلوب الإنسان في الرد على التساؤلات الملحة والأحاجي والألغاز التي جابهته بها الطبيعة والكون من حوله، حتى صارت كل من الأسطورة والرمز الوعاء الفكري الأول الذي انبثقت منه الطقوس والعبادات والأديان والفلسفة والأدب والحكمة والأعراف ... إلخ .

من خلال الدين تعلم الإنسان كيف ينظر للكون والعالم والوجود برمته، حيث تشكلت له رؤية متميزة لواقعه ومجتمعهم، فالفكر الديني يؤثر تأثيرا بالغاً على الوعي البشري الديني واللا ديني.

## المبحث الأول: البعد العملي لفكرة المقدس

## المطلب الأول: الأسطورة والرمز الوجودي (البعد الأنطولوجي)

بما أن الأسطورة وكل ما تحويه من رموز تدل بالدرجة الأولى على المقدس الذي لم يفارق الفكر الإنساني منذ بداية الخليقة حتى الدخول مرحلة المدينة، فإن ذلك يؤكد أن كل من الأسطورة والرمز يعبران ويدلان على الوجود والواقع الأنطولوجي، وهذا ما بينه مرسيا إلياد الذي أيقن أنهما نابعان من الوجود نفسه كما يدلان على الوجود والأبعاد الأنطولوجية للواقع لذلك اهتم علم النفس الحديث بالرمز كونه لا يفارق الوجود الإنساني<sup>1</sup>، الذي لم يخلو من أساطير تخلدها رموز تحاكيها البشرية داخل الوجود الواقعي الذي يسعى فيه البشر للوصول إلى القيمة المرموقة للرموز الأسطورية، حيث أثبت إلياد كمؤرخ أديان وأنتروبولوجي أن الزمان والمكان مفهومان وجوديان عقليان واقعيان إرتبطا بالرموز الأسطورية، فالزمان عند البوذيين يتألف من تدفق مستمر (سمناتا) و يشكل تلك السيولة التي تجعل الزمان غير قابلا للفناء، حيث يتمسك بالوجود الواقعي واللاواقعي والوجود واللاوجود الأنطولوجي<sup>2</sup> في آنيته الخاصة، والآنية تتشكل من عدد هائل من الوجود الثابت، الذي يعبر عن كل ما عاشه الإنسان الأول في واقعه القديم، فإذا رجعنا إلى الديانة "الزرداشية" نجدها مجسدة من ثنائية واقعية وجودية تتمثل في فكري الخير والشر أو النور والظلام، وذلك من خلال تسويغ فكرة الإله المتحكم في تناقضات الوجود عن طريق منع الشر وتأييد الخير<sup>3</sup>، اللذان يشكلان الصراع الأنطولوجي للعالم بأسره من بدايته إلى آخره الذي يتدافع ويتقدم من رحم هذا الصراع والتناقض الوجودي، فأن الرموز الأسطورية تعبر عن كلية الإنسان التي تتجلى فيها وتستقي طابعها الملموس من الحركة التي تدخل الاختبار الإنساني الماضي والحاضر<sup>4</sup>، الذي يدل على الوجود البشري الماضي والآني وحتى المستقبل، ففي الديانة اليهودية كان أمل اليهود تحول الإيمان والآمال إلى شيء

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: الرمز والأسطورة مصدر سابق، ص 53.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 70.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات مصدر سابق، ج 2، ص 207.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: العود الأبدى مصدر سابق، ص 160 .

ملموس ومحسوس (واقعي) لذا تشخص أمل اليهود في شخصية (ميسيّا) (المسيح) المنتظر أو القادم، فكلمة (ميسيّا) مشتقة من كلمة (مسيح) العبرية التي تعني الشخص الممسوح بالزيت، فأصبح رمزا للإنسان الذي يرفع شأنه وتم اختياره (المختار)، لذلك ضل اليهود ينتظرون الخلاص والأمل في العودة للوطن وترقية العالم الأنطولوجي<sup>1</sup>، لتحقيق أمان اليهود في الواقع والوجود فكل الأساطير الدينية المجسدة في الرموز كانت تهدف إلى تجسيد ذلك في الوجود الواقعي وهذا ما عمل عليه اليهود إلى حد الساعة.

فالدين يحتوي على الجانب المعنوي فيه باعتباره العالم الآخر يناقض عالم الطبيعة فكل الأديان لديها البعد المعنوي، الذي يعاكس عالم الطبيعة أو العالم الأنطولوجي أو عالم المحسوسات، هذه العناصر المعنوية التي تختلف من دين إلى دين<sup>2</sup>، حيث يجمع كل المعنويين بأنه الإيمان وبأن عالم الوجود لا ينحصر في العالم الذي يحيط بنا، فما نقوم به في العالم الواقعي الأنطولوجي هو الذي يحدد مصيرنا في العالم المعنوي المفارق.

لهذا وجب على الإنسان مراعاة عالم الوجود الذي يزدحم بالرموز والأساطير بتخليدها للدين في كل صورته، لذلك أعتبر المسيح رمزا من رموز التحرر للبشرية جمعاء في الواقع والعالم المادي، الشيء الذي أكدته الأساطير المسيحية واليهودية، فإن لحظة هبوطه من السماء الروحانية العليا إلى العالم الواقعي (الأنطولوجي) غرضها رفع الخطيئة على الوجود وتعليم البشر التعامل مع هذا الوجود<sup>3</sup>، دون خطيئة وليصل ما انقطع بين الخالق وخليفته (الإنسان) ويحرره من كل الخطايا السابقة التي حصلت في هذا الوجود.

<sup>1</sup> سميت هوستن: أديان العالم دراسة روحية تحليلية وممنعة لأديان العالم الكبرى توضح فلسفتها تعاليمها وجوهر حكمتها، تر سعد رستم، ط3، دار الجسور الثقافية، سوريا، 2007 م، ص 371.

<sup>2</sup> مصطفى مليكان: العقلانية والمعنوية مقاربات في فلسفة الدين، تر عبد الجبار الرفاعي، ط1، مركز الدراسات فلسفة الدين، بغداد، 2010، ص 208.

<sup>3</sup> فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2004 م، ص 72.

وبذلك يكون إهتمام إلياد بالرمز الأسطورة ليس بوصفهما وهما كما أكده البعض، بل كتعبير حقيقي عن ذهنية إجتماعية واقعية وحقبة تاريخية تنقل واقعا وتجربة حسية<sup>1</sup>، تصور هذا العالم وتمنح نماذج للسلوك الإنساني الذي كان يسير وفق رموز لا تخرج عن نطاق الأساطير، لكنها لا تبعد عن الواقع والوجود فهي تمنحه الشكل والبنية التي تساعده على كيفية التعامل مع الوجود الأنطولوجي. وعندما تتحدث الأسطورة عن تكوين الكون وتذكر كيف جرى خلق العالم، فإنها تكشف في الوقت ذاته عن ظهور ذلك الواقع الكلي الذي يتجسد في الكون وعن نظامه الأنطولوجي<sup>2</sup>. وتفسر تجلي الوجود باعتباره تجليا للألوهة والقداسة للآلهة وأنصاف الآلهة تلك التي قامت بخلق العالم، وأسست فيه جميع أنماط الوجود ابتداء من الإنسان وصولا إلى جميع المخلوقات الأخرى، وبذلك تكون الأسطورة وأبعادها الرمزية تفوق فردا بعينه لتكشف الوجود بأكمله متخطية بذلك حدود البشر.

### المطلب الثاني: رمزية الأسطورة في محتواها الديني (البعد الإنساني)

مما لا شك فيه أن مرسيا إلياد قد مزج الأسطورة ورموزها بالبعد الديني أو الظاهرة الدينية التي لم تفارق الإنسان القديم (الأول) ولا حتى الإنسان المتمدن المتحضر. حيث اعتبر الرموز الأسطورية تعبير عن تجليات الفكر الإنساني القيم في فترات الزمن المتعدد وتوارخه المتنوعة، تلك الرموز التي تنم عن النزعة الدينية بزعامة المقدس الذي طالما كان ولا يزال محور واهتمام المندس أو العادي (الإنسان)، ولقد أشارنا إلى هذا سلفا في دراستنا هذه انطلاقا من كون إلياد مؤرخا للأديان وأنتروبولوجيا متميزا بنزعة فلسفية (فلسفة الدين)، مؤكدا أن الأسطورة عبارة رموز دينية محضة وأن الأساس الديني في العصور الغابرة والديانات السماوية والبشرية كانت على شكل رموز أخذت الطابع الأسطوري في توجهاتها، تلك الأساطير التي صنفها إلياد على أنها تعبير عن ثقافة الشعوب بل هي الفكر الإنساني في حد ذاته.

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: الرمز والأسطورة مصدر سابق، ص 109.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق، ص 16.

لم يتوقف مرسيا عند الإطار الديني للأسطورة والرموز المجازية لها، بل أكد بعدها الإنساني فالفكر الأسطوري وصوره الرمزية لم يفارق الفكر البشري بل لازمه فهو قد سبق امتلاكه للغة والمرحلة الاستدلالية، فكل إنسان يحي في أحضان التاريخ يحمل قسطا وافرا من إنسانية ما قبل التاريخ<sup>1</sup>، فكثيرا ما يسترجع المرء الصور والرموز والأساطير، وحتى المرحلة الفردوسية التي تعود إلى الإنسان الأول ذلك أن البحث في الأساطير و الرموز المتعددة عند الأولين هو بحث في التفكير ومناهج النظر البشري كونها تطلعتنا كيف شرع الإنسان الأول التفكير في نفسه وفي خالقه وفي حقيقة الرابطة بينه وبين الموجودات معنوية كانت أم مادية<sup>2</sup>، حيث تطور الفكر الأسطوري الرمزي المجازي من خيال وقصص خرافية إلى فلسفة علمية و قصص و أشعار و ملاحم<sup>3</sup>، فرمزية الأساطير وطقوسها كانت هي اللغة الشائعة عند الإنسان البدائي فهي الإيحاء الأول الذي يفسر العالم والواقع الإنساني والبعد البشري، فكما عبرت الأساطير عن إنشغال الإنسان الأول بالجانب الديني عبرت كذلك على البعد الإنساني وحقائق إنسانية توصل لها الفرد عرف من خلالها البعد الإنساني له ولحياته، لذلك وضّف الإنسان الأول رموزا بشرية في أساطيره المتعددة، فرمز المرأة هو رمز للعذرية للحياة وللتوالد وإستمرار الخلق حيث تعددت نماذجها في الفن الأيقوني البيزنطي<sup>4</sup>، الذي خلد صورة المرأة في الكنائس والمعابد تعبيرا على أهميته كفرد فاعل في حركة الحياة.

كما أن أساطير الخلود التي كانت حاضرة برموزها في الزمن الأول كدلالة على الرموز الإلهية فأكدت هذه الأساطير فكرة الموت، ذلك أن الآلهة وحدها تتميز بصفة الخلود والعيش الأبدي، الذي لا ينطبق مع الطبيعة البشرية الإنسانية، باعتبار أنه سيفارق الحياة<sup>5</sup> حيث عملت الأساطير وشعر العبور (من الحياة إلى الموت) على مساعدة البشر قبول فكرة عدم أزليتهم وعلى الانتقال إلى مرحلة الحياة الثانية، وهذا كله مساهمة في دفع حركة العيش الدنيوي والتغير والنمو الأمر الذي رسخه إلياد

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: صور ورموز مصدر سابق، ص 12.

<sup>2</sup> عبد المعين محمد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، ط2، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1983، ص7.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 8.

<sup>4</sup> فليب سرنج: الرموز في الفن الأديان الحياة، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1992 م، ص243.

<sup>5</sup> كارن أرمستورنغ: تاريخ الأسطورة، تر وجيه قانصو، ط1، الدار العربية للعلوم، (د ب ن)، 2008، ص54.

فالرمزية الميثولوجية عرفت الإنسان علي وجوده السابق والحاضر حيث منحته السيطرة على قدره الخاص، فهي تذكرة لولادته و أصله و حيواته الماضية هذا ما أثبتته (بوذا) (ذاكرة بوذا)<sup>1</sup>، الذي وصل إلى مرحلة الخلاص وعرف الحكمة من خلقه في هذا الكون، ويفهم صورة وجوده الحقيقية بالنسبة للعالم، وبناء حياته وحضارته<sup>2</sup>، بهذا يكون الإنسان قد وصل إلى بلوغ مرحلة من مراحل الثقافة ومعرفة أصله و جوهره باعتبار أنه جزء من هذا العالم الذي خلقتة الآلهة.

كما يعتقد "كارل يونغ" أن أزمة الإنسان الحديث يعود جانب منها إلى أن الفرد الغربي لا يجيا بكل كيانه (مع الرموز والأساطير) المسيحية، فوسم كتابه بـ (الإنسان الساعي إلى اكتشاف ذاته)<sup>3</sup>، حيث تحولت في العصر الحديث إلى مجرد أفعال خالية من الحياة لا تقدم أي فائدة للحياة النفسية العميقة للنفس الإنسانية التي فقدت ينبوع الروحي المتضمن في الرمزية الأسطورية، فهي وحدها من تستطيع بعث القوى الإبداعية والروحية من جديد.

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة مصدر سابق، ص 54.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 193.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام و الأسرار مصدر سابق، ص 30.

## المبحث الثاني: منزلة المقدس داخل التجربة الإنسانية

## المطلب الأول: المقدس كحقيقة مطلقة وعلة للوجود وطبيعة علاقته بالديني

أثبت السياق التاريخي للبشرية عدم وجود حضارة دون دين سواء كان ذلك في الماضي أو في الحاضر أو حتى في المستقبل, ذلك أن كثافة الحضور الديني في المجتمعات نظام لم تخرج عنه، حيث كان الإنسان الديني يؤمن دائما بأن هناك حقيقة مطلقة موجودة دائما يمثلها المقدس الذي يخترق هذا العالم، ويتجلى فيه في نفس الوقت لذلك نجده يقدر العالم و يعترف بحقيقته<sup>1</sup> التي جسدها المطلق الثابت الذي يحكم الكون بكل ما فيه من مخلوقات النابعة منه، ذلك أن المنظمة الدينية مبنية أصلا على فكرة المقدس الذي لا يقبل الانتهاك وهو ما جعله موضوعا للدين والاحترام، حيث يعرف إلياد المقدس «أنه المعارض للمدنس الديني بمعنى أن المقدس صعب وعصي على الفهم<sup>2</sup>» فمفهوم المقدس ينفلت من وعي الإنسان فهو لا يستطيع الإحاطة به لذلك نجده يلجأ للأسطورة والمجاز اللذان يعبران عن فكرة المقدس الذي ولج مجال "الأسطورة" التي لازمتها في الحضارات الأولى فنظرت للمقدس بأنه يعادل القوة ، وفي النهاية يعادل الحقيقة بامتياز ذلك أنه مشبع بالكينونة ، وهو قوة مقدسة تعني الحقيقة والخلود<sup>3</sup> ورمز للحقيقة المطلقة بامتياز ، وهذا ما أثبتته إلياد في جميع أطروحاته ومؤلفاته باعتباره مؤرخا للأديان، الأديان التي انطلقت مع اللحظات الأولى من خلق العالم والتي تستمر حتى انقضائه.

أخذت فكرة المقدس مكانة كبيرة في حياة الإنسان وقسطا وافرا من تفكيره، الشيء الذي أثبتته الديانات كلها قديمها وحديثها، وهذا ما وقف عليه إلياد من خلال تأريخه لأديان العالم وخصوصا عبر مؤلفه الموسوم (بتاريخ الأفكار والمعتقدات بأجزائه الثلاثة) الذي أخذ فيه المقدس ألقابا متعددة مع تعدد الديانات التي أجمعت كلها على أن المقدس لا يفقد جوهره باعتباره حقيقة مطلقة وعلة أولية لهذا الوجود، فهو لا متناهي وأزلي غير متحول حيث برهن على وجوده بالنظر

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 14.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 15.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 18.

العقلي الذي أثبت أنه هو خالق هذا العالم والكون<sup>1</sup>، حيث خلقه بكل حرية، وخلق كل ما فيه فهو مالك هذا الموجود هو الذي أقامه وأنشأه، حيث أدرك الكثير من الفلاسفة الغربيين أن الدين واحد وإن تعددت الشرائع والمعتقدات، وعبر ذلك (جورج برناردشو) بقوله: «يوجد واحد وصل إلينا في أكثر من مئة إصدار»<sup>2</sup> لذلك تشرك الأديان في سمات ومفاهيم كثيرة أهمها الإيمان بإله أزلي أبدي خالق لهذا الوجود<sup>3</sup>، وبأنه حقيقة مطلقة ثابتة، وأنه خالق لهذا الكون والإنسان معا اللذان انبعثا عنه فهو صانع لهذا العالم ولم يؤمن بهذه الأفكار الإنسان المتدين فقط، بل حتى الفلاسفة والعلماء أثبتوا ذلك حيث يقول نيوتن: «هذا النظام الأكثر روعة الذي يحتوي على الشمس والكواكب والمذنبات، لا ينشئه إلا موجد فائق الذكاء والقدرة، ليس كروح العالم ولكن كإله فوق الجميع»<sup>4</sup> وكذلك نفس الأمر الذي أيقنته النظرة الفلسفية، من خلال فلاسفة اليونان القدماء (سقراط، أفلاطون، أرسطو) حيث آمنوا بوجود إله منسئ للكون<sup>5</sup>، وكل واحد منهم فسره بوجهة نظره الخاصة، فأرسطو توصل إلى حقيقة الكون الذي ورائه المحرك الذي لا يتحرك، حتى الأسئلة التي حيرت الفلاسفة وجدت لها أجوبة في الوحي لقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>6</sup>. فإن المتأمل لهذا الكون والخلق يجزم يقينا أنه لم يوجد من عدم، بل كان ورائه علم مقدس مطلق ثابت الذي لم تنقطع صلته مع خلقه، وخاصة الدنيوي الذي يسعى جاهدا للحاق بقبس القداسة والمطلقية، حيث يرى إلياد أن المقدس والدنيوي يشكلان نموذجين للتكون في العالم، و وضعيتين وجوديتين أثبتتهما الإنسان و التاريخ<sup>7</sup> اللذان شهدا تلك العلاقة الكامنة بين القداسة و الدنيوية كمفهومين متعارضين، لكنهما يشكلان ثنائية للحياة والكون، وعلى الرغم من تعارضهما

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج3، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1986، ص 214.

<sup>2</sup> عمرو شريف: رحلة عقل هكذا يقود العلم أشرس الملاحظة إلى الإيمان، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2011 م، ص 153.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 155.

<sup>4</sup> عمرو شريف: خرافة الإلحاد، ط1، مكتبة الشروق، مصر، 2014 م، ص 99.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 100.

<sup>6</sup> سورة آل عمران. الآية 109.

<sup>7</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 19.

الواضح كون المقدس إلهي مطلق أما الدنيوي مقيد نسبي، أكد مرسيا أنهما يشكلان عالمين متداخلين على هذا المستوى الوظيفي<sup>1</sup>، من خلال التداخل والتناظر ضمن وحدة أنطولوجية مبنية على مبدأ حوارى بين هذا المقدس والدنيوي العادي، وحسب إلياد فإن أي حديث على المقدس يقتضى إستحضار المدنس الدنيوي ولو عن غير وعي والعكس صحيح<sup>2</sup>، وذلك يوحي على نمط العلاقة المتداخلة التي تربط المقدس والدنيوي، على الرغم من اختلافهما الجوهرى إلا أن هناك حبالا للتوصل يعبر عنه إلياد بالنزوع، ذلك النزوع الذي يغمر الإنسان نحو المقدس من خلال التوحد والفناء وميل أكثر للمقدس، ويرجع مرسيا هذا الأمر يعادل القوة ففي النهاية هو يمثل الحقيقة بامتياز<sup>3</sup>، فالإنسان يميل إلى القداسة والقوة المثالية المطلقة التي يمثلها المقدس السماوي الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عبر الموت الصوفي والفناء في الله، لذا يشكل شكلا جديدا من الوجود المشبع بالرغبة الملحة للإنسان الذي يلاحق القدسي.

وبما أن المقدس عصي على الوعي الإنساني والإحاطة يرى إلياد أنه نستطيع الاتصال به عن طريق الدنيوي الذي يتجلى فيه، ورغم ما يحمله هذا التحلي من تناقض أو تنافر يبقى مفهومي المقدس والدنيوي مفهومين متلازمين متعرضين<sup>4</sup>، لأن الخالق يفضي بالضرورة إلى المخلوق ومتعارضين لأن المقدس يعارض الدنيوي، وعلى الرغم من ذلك لا تنقطع الصلة بينهما، فجميع الأديان مهما بلغت درجة تباينها إلا أنها تؤكد على العلاقة الوطيدة بين الخالق والمخلوق (المقدس والدنيوي) من خلال مهمة تلك الأديان المتمثلة في رسم الطريق بين الدنيوي والمقدس، وبل تعمل على توظيف الصلة بينهما.

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 15.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 16.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 18.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 16.

## المطلب الثاني: خصائص النظرة الدينية للإنسان والكون

إن الحديث عن الدين هو حديث عن الإنسان الأول على اعتبار أنه متدين بالضرورة، فلا يمكنه الإدراك أو الفهم إلا من خلال البعد الديني المتأصل فيه، حيث يؤكد مرسيا أن الإنسان المتدين ينظر للأمور نظرة قداسة وخصوصا إنسان المجتمعات الغابرة، فهو يرى العالم والكون موجود بوجود الآلهة التي خلقتها<sup>1</sup>، وأن وجود هذا الكون ليس بالأمر الهين والسهل، بل هو دلالة دامغة على قوة الآلهة التي تجلت قداستها على هذا الكون، إضافة إلى أن الإنسان المتدين حسب إلياد يعد وجوده الإنسان مفتوح على هذا الكون والعالم، وأنه إذ يحيا فإنه لا يحيا لوجوده وإنما يحيا في كيانه جزء من هذا العالم، فإن هذا الانفتاح على الطبيعة يجعله يفهم نفسه والعالم والكون معا<sup>2</sup>، وتتميز هذه المعرفة بأنها معرفة دينية بامتياز، فالآلهة هي التي خلقت الكون والإنسان معا باعتباره جزءا لا يتجزأ من الكون، وكل ذلك يقودنا إلى الإيمان القطعي بالمقدس الذي يتعالى على الحياة الدنيا، لكنه يتجلى فيها فالآلهة تتجلى بقداستها على العالم، لذلك يوقن الإنسان الديني أن لهذه الحياة أصلا مقدسا<sup>3</sup>، تلك القداسة التي تتجلى في جحر أو شجر كتجلي القداسة العليا الماثلة لدى المسيحي في يسوع فالمقدس هو تجلي للمتعالى في الزمان والمكان (الكون)، وأن الوجود الإنساني لا يمكن أن يأخذ أي طابع أو منحى سوى الطابع الديني، واتصاف هذا الوجود بالصفة الدينية<sup>4</sup>، لأن الآلهة قد خلقت الكون والإنسان معا وكل الوجود برمته، ذلك أن الإنسان المتدين يضطلع بالوجود الإلهي المقدس المفارق، مما يجعله يفهم وجوده في هذا الكون، فالدين يحدث توازنا في شخصية الفرد يضفي عليه السكينة والطمأنينة والتواصل الاجتماعي من خلال الطقوس والمعتقدات<sup>5</sup>، والرابط الروحاني القوي الذي يجمع بين أفراد القبيلة، فكل الشعائر الدينية ومختلف الاحتفالات والأعياد رمز للهوية الدينية التي تربط الإنسان بالخالق ليدرك ما حوله .

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 119.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 193.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 224.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 190.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 280.

جزم مرسيا إلياد أن أصل الفكر الإنساني هو فكر ديني متأصل فيه، وحقيقة لا يمكن التناكر منها، فكيف يمكن للذهن البشري أن يعمل دون قناعة، بأن ثمة شيء في العالم هو فعلا حقيقي كما يستحيل للمرء أن يعي دونه، فالإنسان يعي عالمه و وجوده عن طريق البعد الديني واكتشاف المقدس<sup>1</sup>، فجميع الحقائق تصدر عن ذلك المقدس الذي خلق الكون والإنسان مما أضفى على الكون الرونق القدسي، فالمقدس هو بنية من بنيات الوعي الإنساني، وليس مرحلة من مراحل<sup>2</sup>، كل ذلك يعني أن الدين (المقدس) موجود في الوعي الإنساني ككل، ولا يقتصر على الإنسان الأول الذي ولى وإنثر، بل يتجاوزه إلى الإنسان الحديث والحالي وحتى المستقبلي، كما يثبت إلياد من خلال دراسته الواسعة للأديان أن الإنسان مهما تناكر للدين وأصبح لا ديني فإنه في نهاية الأمر ينحدر من سلالة الإنسان الديني فهو صنيعته سواء أراد ذلك أم لم يرد<sup>3</sup>، فالتفكير الديني شغل الوعي الإنساني، ولا يمكن أن ننكر ذلك باعتبار أن الإنسان كان مولع بالمقدس المفارق والنزوع نحوه، ولم يتوقف الأمر لدى إلياد عند هذه الحدود، أي التفكير الديني الذي تجسد في مجموعة من الآلهة المتعددة والمتنوعة، بل تعداه إلى أبعد من ذلك بكثير فهو الأصل في الدين ليستبعد تعدد الإلهة بل فكرة الإله الواحد هو الأصل في الدين<sup>4</sup>، ففكرة التعدد في الدين ليست بالأمر الصحيح المطلق، بل إن البشرية تخطو خطى للتوحيد بالإله الواحد وبذلك يصبح الدين هو الأساس الذي يقوم الوعي والإدراك الإنساني ككل، وبذلك يجيب إلياد منتقديه الذين يرون أن مرسيا قد حصر ظاهرة الدين وما تحويها من معتقدات على الإنسان البدائي الأول فالدراسة المستفيضة للدين التي أجراها إلياد أثبت من خلالها أن الدين ظاهرة إنسانية لا تخلو من أي زمان أو مكان.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 228.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 229.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 210.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 212.

## المطلب الثالث: خصائص النظرة اللادينية للإنسان والكون

تميز العصر الحديث وخصوصا في أوروبا بالتجرد من الدين، والتنكر له على اعتبار أن الدين كان وراء الجهل والتخلف.... إلخ، وقد تصاعدت الاتجاهات الراضية للدين والتدين وخاصة مع التيارات العلمية الحديثة مثل المادية الوضعية والفلاسفة الوضعيين، خاصة مع أوجيست كونت و تشارلز داروين من خلال كتابه (أصل الأنواع) والنزعة التطورية، هذه الاتجاهات التي استبعدت الماورائيات، واعتبرت المادة أصلا للوجود.

يرى إلياد أن الإنسان الأوربي الحديث قد شيع جنازة الإله، وحل محله من خلال النزعة الإنسانية (الأنسنة)، الشيء الذي جعله يفقد بعده الروحي<sup>1</sup>، ويتمسك بكل ما هو مادي كتفسير واقعي لكل ما حوله، وهذا ما جعله يغرق في أزمات عميقة، وبذلك يكون هناك اختلاف كبير في وجهات النظر، وفي القناعات بين الإنسان المتدين واللامتدين، الذي لا يقدر العالم والوجود، ويفرض التعالي (المقدس) (الآلهة)، ويرضى بنسبية الواقع<sup>2</sup>، بل إنه قد يرتاب في معنى الوجود الذي يرفض رفضا قاطعا أن تكون له علاقة باللامادة، ذلك الجوهر الميتافيزيقي الذي رفضه الإنسان الحديث الذي يسميه إلياد باللاديني يتنكر للإله والتعالي، كما أنه رفض أي نموذج خارج من شرط الوجود الإنساني<sup>3</sup>، فأى تفسير غير وضعي وخارج عن نطاق الوجود أمر غير مقبول تماما، ذلك أن الإنسان اللاديني سلخ نفسه والكون من تجلى القداسة فأصبح وجود عادي غير مقدس، كما أن الطبيعة (الكون) حصيلة سلخ القداسة عن العالم الذي صنعه (الله)، لذلك تجرد من الفكر الديني<sup>4</sup> الذي يغير وجوده ووجود العالم (الكون)، وبالتالي فرغ ذاته من أي تدين وانسلخ عن البعد الديني المتأصل في أجداده المتدينين .

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: ملامح من الأسطورة مصدر سابق، ص 10.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 228.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 229.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 230.

إن الأبحاث المضنية التي قام بها إلياد في الأديان وتواريخها المتعددة أو صلته إلى قناعة مفادها أن جل الذين لا دين لهم يعارضون صفة كل قدسي ما زالوا يسلكون سلوكا دينيا على غير وعي منهم، فالإنسان الحديث الذي يزعم أنه حيادي من الدين لا يزال يتصرف بأسطورية كاملة مموّهة<sup>1</sup>، فنكرانه للدين لم يمحي تواجده العميق في ذاته التي لم تتخلص أبدا من البعد الديني وحتى أسطوريته، حيث عبر عنها بأشكال مختلفة في الوقت الحالي، فيقول إلياد «إن السينما هي مصنع الأحلام، تستخدم صورا أسطورية لا حصر لها مثل الصراع بين البطل و الوحش وأساطير أنصاف الآلهة والمعارك والحن ... إلخ»<sup>2</sup>، كل ذلك يفسر أن عمق الإنسان غير المتدين لا يزال يحتفظ بالدين الذي لم يتخلص منه رغم كل ما شحذه من نظريات وتفسيرات وأطروحات أزاحت الدين بصفة كلية من الحياة، والعالم من خلال تجنب كل ما هو قدسي إلهي : حتى ماركس الذي تنكر للدين، اعتبره أيفونا للشعوب استعاد إحدى الأساطير الأخروية الكبرى سرد من خلالها دور (العادل، المصطفى، المسيح، البريء، حامل الرسالة) وفي أيامنا هم الكادحون (البروليتاريا) المحاربة للطبقية<sup>3</sup> و إنشاء مجتمع اشتراكي، فيتضح الصراع بين الخير والشر، لذلك نجد إلياد فسر النظرة اللادينية للإنسان والكون تفسيراً نفسياً يتمثل في البيئة الشعورية واللاشعورية للفرد، فالإنسان اللاديني جده (آدم) الإنسان الأولي الذي اقترف الخطيئة، إلا أنه قد احتفظ بعدها بمجموعة من الأفكار التي عثر عليها من خلالها على آثار (الله) التي تظهر في العالم، وبذلك يسقط في التدين من جديد الذي بقي عالقا في أعماقه اللاشعورية<sup>4</sup> التي لم تتخلص منه أبدا فمهما أنكر اللامتدين الدين، إلا أنه لن يستطيع التخلص منه بصورة نهائية، باعتباره قابعا في اللاشعور الذي لم يتخلى عنه أبدا، فرحلات الإنسان الحديث اللاديني انتهت أغلبها باتجاه الخلق المقدس للكون و الوجود الإنساني معا، فرحلة أنتوني التي لا مكان فيها للإيمان القبلي إلا أنها انتهت بالقول بالربوبية والإيمان والدين، وكذلك رحلة جيفري لانج العقلية

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 234.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 238.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 232.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 237.

المادية التي انتهت بالإيمان بوجود خالق عظيم<sup>1</sup>، وقوة عظيمة مقدسة كان لها الفضل الأول والأخير في خلق الإنسان و الكون (العالم) برمته، وأن أصل المادة هو اللامادة التي تتجسد في ذلك القدسي الذي يتجلى في جميع خلقه.

<sup>1</sup> عمرو شريف: خرافة الإلحاد مرجع سابق، ص 443.

## خلاصة الفصل:

يمكن أن نستنتج في نهاية هذا الفصل أن الدراسات الدينية والتاريخية التي قام بها مرسيا إلياد خلص من خلالها إلى نتيجة مفادها أن الدين متأصل في فكر الإنسان، الفكر الديني مستقر في الوعي البشري على تنوع الأمكنة والأزمنة، ولم يترسخ الدين لدى الإنسان الأول ذو التفكير الساذج الأسطوري الخرافي، بل تجاوزه ليستقر في الوعي البشري ككل دون تمييز، وهذا ما يعرف باللاوعي الجمعي، وهذا ما يجسد أطروحة إلياد الرامية لطبيعة دينية الوعي البشري، باعتباره متجذرا، فالإنسانية تنزع بطبيعتها للقداسة والتقرب من الإله، وتنفر من الدناسة، و لا يقتصر ذلك على الإنسان الديني فقط، بل يتجاوزه ليستقر في أعماق وعي الإنسان اللاديني الذي ينكر المقدس، وتحليلاته في الكون والوجود الذي انسلخ عن القداسة، إلا أن ذلك لا يمنع من أن المقدس قابع في أعماق وعيه من خلال الفكر الديني لأجداده، وذلك ما ويضع باستمرار الفكر الديني عبر تاريخ البشرية، فلا يمكن الاستغناء عن الدين الذي لا يمكن أن ينطفئ و يتلاشى مادام هناك جنس بشري في هذا الوجود، فعن طريقه يعتدل الفكر وتتضح الرؤى المفسرة للواقع والحقيقة ، ومهما بلغ تطور الفكر والوعي البشري، إلا أنه لا يمكنه أن ينسلخ عن الدين باعتباره قوام الحياة المادية والروحية معا.

# الفصل الخامس: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الدينية و

## الفلسفية

تمهيد

المبحث الأول: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الفلسفية

المطلب الأول: فلسفة الدين

المطلب الثاني: فلسفة التاريخ

المطلب الثالث: جهوده في مجال الهيرومينوطيقا (التأويل)

المبحث الثاني: البعد قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الدينية

المطلب الأول: تاريخ الأديان

المطلب الثاني: فينومينولوجيا الأديان

المطلب الثالث: أنثروبولوجيا الأديان

المطلب الرابع: تقييم الرؤية الدينية الإليادية

خلاصة الفصل

تطرقنا في هذا الفصل إلى تسليط الضوء على قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الدينية والفلسفية، باعتباره متعدد الرؤى والأطروحات الدينية والفلسفية والتاريخية، فأفكاره المتميزة في تاريخ الأديان و الأنثروبولوجيا فتحت أمامه أبواب فكرية واسعة اصطبغت بالفكر الفلسفي الديني انطلاقا من الدين الذي يعتبر فكرا إنسانية بامتياز، وهذا ما جعله يلج في مبحث فلسفة الدين من خلال تحليل الظاهرة الدينية، وليس ذلك بالأمر الهين، بل هو على قدر بالغ الصعوبة والتعقيد، فالدراسات الدينية والفلسفية أضفت على الظاهرة الدينية، تفسيراً متعدد المناهج والأساليب الدينية والفلسفية و النفسية و الأنثروبولوجية ... إلخ، كان الغرض منها فهم الفكر الإنساني الديني التقليدي والمعاصر والمتحضر، ومحاولة فهم الأوضاع الوجودية وتحليل المعطيات والتعبير عن مختلف التجارب والخبرات الدينية.

## المبحث الأول: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الفلسفية

## المطلب الأول: فلسفة الدين

أسس مرسيا إلياد من خلال مؤلفاته مجال من مجالات المعرفة المتمثلة في فلسفة الدين سواء من ناحية المنهج أو الموضوع، باعتبارها فرع يتضمن دراسة أصول الدين والأديان المقارنة، حيث تعتبر فلسفة الدين تفسيراً عقلياً لبنية وتكوين الدين، وذلك عن طريق الفحص الحر للأديان والكشف عن طبيعتها باعتبارها منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة<sup>1</sup>، ونمط للتفكير في قضايا الوجود والعقائد والتطورات الدينية للألوهية والكون والإنسان، كما تبحث فلسفة الدين في نمط وتطور الفكر الديني عبر التاريخ بغرض الوصول إلى تفسير كلي للدين، والكشف عن منابعه في العقل والنفس<sup>2</sup>، والبحث في طبيعة العلاقة بين المتناهي واللامتناهي (المقدس والمقيد)، وتعتمد هذه الدراسة في تحقيق منجزاتها على العلوم الإنسانية والاجتماعية لتحقيق نتائج معتبرة<sup>3</sup> مثل علم النفس الديني تاريخ الأديان ومقارنة الأديان وعلم الاجتماع الديني والاثروبولوجيا الدينية، إضافة إلى مناهج فلسفة متعددة كالمنهج التحليلي البنوي التفكيكي وفينومينولوجي..... الخ<sup>4</sup>، والعديد من المناهج الأخرى هذا وقام مرسيا إلياد الذي تناول فلسفة الدين من خلال تحليله للظاهرة الدينية، وصفتها مناقشا جدلية العلاقة بين المقدس والمدنس<sup>5</sup>، مراعيًا نظام التسلسل التاريخي وتطوره عبر العصور، ومدى تأثيره على الفكر البشري من خلال إمطة اللثام عن حقيقة المعتقدات والطقوس والأساطير الدينية، فحسد الشعائر والصلوات التي ميزت الظاهرة الدينية للإنسان الأول الذي بحث عن القداسة<sup>6</sup> التي أضفتها على أزمنة وأمكنة وتواريخ متعددة، لذلك اعتبر مرسيا إلياد علامة من أعلام فلسفة الدين عن طريق تحليله للأديان، ونفسياً مستندا على مقاربات مدرسة التحليل النفسي لفرويد

<sup>1</sup> عثمان محمد الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، ط 1، دار قباء، القاهرة، 2001م، ص 35.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 38.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج 1، تر عبد الهادي عباس، ط 1، دار دمشق، سوريا، 1986م، ص 27.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 30.

<sup>6</sup> مرسيا إلياد: المقدس والمدنس مصدر سابق، ص 6.

(علم النفس الديني) تؤكد إليه من خلاله أن الدين (التدين) مفهوم ضارب في عمق الحياة النفسية للبشرية<sup>1</sup>، وقاعدة أساسية لبناء الوعي البشري ككل الذي يستقر فيه البعد الديني، كما عمل إلياد على فحص الظواهر الدينية للحضارات الأولى، معتمدا على الأنتروبولوجيا الدينية لتحليل الأديان وبيان أصولها وتاريخها، ومدى تأثيرها على المجتمعي<sup>2</sup>، الذي ارتكز على اللجوء للمقدس باعتباره مصدرا للوجود والكون والإنسان، هذه المسألة التي ناقشها إلياد باعتبارها قضية دينية فارقة في فلسفة الدين، فسلط الضوء على قضية تفسير الوجود والكون، وحتى الوجود الإنساني<sup>3</sup>، باعتبارها نقطة فارقة وأساسية في بناء نمط الفكر للإنسان الديني و اللاديني.

### المطلب الثاني: فلسفة التاريخ

تعتبر الظاهر الدينية تاريخية بامتياز على اعتبار ملازمتها للبشرية انطلاقا من الإنسان الأول، وصولا إلى العصر الحالي حيث قطعت حقب زمنية مختلفة، الأمر الذي جعلها لا تنفك عن البعد التاريخي، لهذا دخلت في نسق فلسفة التاريخ.

بما أن مرسيا إلياد مؤرخ أديان تناول الظاهرة الدينية بصورها المختلفة جعله يدخل مجال فلسفة التاريخ، فمؤلفاته التي كانت تسرد وتحلل الأديان بحقبها التاريخية المتعاقبة، وأزمنتها المتعددة، هذا الأمر الذي جعلها عبارة عن مدخل لفلسفة التاريخ، فكتاب (أسطورة العود الأبدي) الذي عبر عن ذلك<sup>4</sup>، فتحدث فيه عن الأزمنة الغابرة للممارسة الدينية إضافة مؤلفات دينية عديدة كانت تسرد وتحدث عن تاريخ الأفكار والمعتقدات، حيث عمل إلياد على تحليل الظاهرة الدينية تحليلا تاريخيا نظريا، فدرس المفاهيم الأساسية الدينية للمجتمعات البدائية التي عرفت أبعادا تاريخية متعددة<sup>5</sup>، فحين ندرس المجتمعات البدائية تستوقفنا هذه السمة، وهي رفض الزمن الحسي التاريخي من قبل هذه المجتمعات التي ترفض وتقاوم الزمن الحسي، والغرض من ذلك هو الدخول إلى تاريخ لا

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 58.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 60.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: أسطورة العود الأبدي مصدر سابق، ص 7.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 9.

يحكمه نظام من أجل العودة إلى الزمن المقدس<sup>1</sup> الذي تتجلى فيه القداسة التي انشغل بها الإنسان الأول، فالتواريخ والأزمنة ليست دائمة تعبر عن زمانها ومكانها الحسينين، بل تتجاوزها للوصول إلى تاريخ وزمن مقدس لا تحكمه علاقة بالعادي، فاعتناء مرسيا إلياد بالإنسان التقليدي التاريخي الذي عاش مشاكل ميتافيزيقية كبرى جعله يدرس لتوضيح وتحديد معرفتنا للأنطولوجيا القديمة<sup>2</sup>، التي تتجسد في أعماله من خلال تفسيره للبعد التاريخي للأديان وتراثها الفكري، مركزا على البعد الزماني الذي يميز تاريخ الأديان، فهو يخرج عن الدناسة ليدخل في زمن القداسة، وبهذا يكون قد رسخ زمنا معيناً مميّز<sup>3</sup>، تلك الأزمنة التي تندرج وفق تواريخ متميزة هي الأخرى وإن تحليل هذه التواريخ على اعتبار أنها تواريخ فارقة في الفكر البشري يجعلها تدخل وفق فلسفة التاريخ، فالمقاربة الدينية لمرسيا إلياد ترتكز على تاريخ المقدس الذي يكسر الحواجز الأنطولوجية قصد تجسيد تاريخ مفعم بالقداسة<sup>4</sup>، وذلك من خلال الشعائر والطقوس الدينية التي ترسخ تواريخ فارقة، فيرى إلياد أن البعد التاريخي للدين أثبت أنه أساس للفكر والوعي البشري الذي لم يتخلى عنه طيلة عصور متعددة، وبهذا يكون قد فسر الظاهرة الدينية والتاريخية تفسيراً تقديمياً خطياً، على اعتبار أن الدين أساس بناء الوعي الإنساني الذي يسير ويتقدم باستمرار مع تطور الوعي الإنساني، فمهما استمرت وتعالّت الأصوات والنظريات المناهضة للدين والفكر الديني، فالتاريخ الماضي والحاضر والقادم سوف يخلده ويثبته وعلى الدوام.

### المطلب الثالث: جهوده في مجال الهيرومينوطيقا (التأويل)

إن الحديث عن الأديان هو حديث عن التأويل والهرمينوطيقا قصد البحث والتنقيب عن المعاني والمفاهيم الغامضة والمبهمة، فتاريخ الأديان دون هرمينوطيقا يصبح تاريخاً عادياً<sup>5</sup> يؤرخ

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد، المقدس والعادي مصدر سابق، ص 205.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 240.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 260.

<sup>5</sup> مرسيا إلياد، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 26.

لأحداث عامة عادية خالية من القداسة، وبما أن مرسيا إلياد ينطلق من التجربة الدينية راسخة في الوعي الإنساني، وخصوصا الإنسان الديني المتشبع بالقداسة فان الهرمينوطيقا تعمل على البحث في المعنى والقصد في تجلي المقدس، وذلك خلال الأساطير والرموز والطقوس<sup>1</sup> التي تتميز عادة بالتعقيد، حيث يؤكد مرسيا على ضرورة التأويل الديني فيقول ( إن أفضل أنواع الامتياز والفخر التي ينالها مؤرخ الأديان هو بالضبط فك شفرة ولغز واقعه ... وفهم الوضعية الوجودية التي يجعلها ممكنة ... )<sup>2</sup> فالتأويل يكون حاضرا بقوة والقصد منه العمل على إزالة اللبس والغموض الذي لا بد أن ينجلي وفق الاجتهاد الهرمينوطيقي للغوص في أعماق المعاني الدينية، فهدف مؤرخ الأديان فهم الظاهرة الدينية، وأن يضيء للآخرين سلوك الإنسان المتدين ويكشف عالمه الذهني<sup>3</sup>، الخاص المتميز بالجانب الديني المسيطر على نمط تفكيره وأفعاله ونظرتة للكون، والوجود معا كما رسخ إلياد عبر مؤلفاته العديدة أهمية الهرمينوطيقا بالنسبة لمؤرخ الأديان، وهذا ما قام به حيث ركز على السلوك الديني للإنسان قصد فهمه معنى الأنماط الدينية ودلالاتها<sup>4</sup> إضافة الأشكال والآراء والتعبيرات المختلفة للتجربة الدينية بما فيها من رموز وغموض.

إن الدراسات الدينية التي تميز بها إلياد تناول من خلالها تجربة المقدس المطلق المفارق الذي يتجلى وفق أمكنة وأزمنة وتواريخ ورموز متعددة، كل هذا دفعه إلى تقديم هرمينوطيقا المقدس و تأويل تجلياته، حيث وضح الجهود والمنهجيات التأويلية<sup>5</sup>، التي يمكنها أن تكشف للإنسان اللاديني الدهري الغربي العاصر معنى الروحانيات والإبداعات الدينية التي وسمها ب (مذهب إنساني جديد) يلتقي عبر فضائه الإنسان الغربي الحديث بعوالم تضح بالقداسة<sup>6</sup> و الروحانيات التي يفتقدتها، كما يرى إلياد أن تاريخ الأديان له دور هام في الحياة الثقافية المعاصرة من أجل فهم الأوضاع الوجودية التي تعبر عن

<sup>1</sup> المصدر نفسه ص 27.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 29.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 31.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 176.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 179.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 193.

معرفة الوثائق التي يدرسها ويحللها مؤرخ الأديان ليتمكن من الوصول إلى معرفة الإنسان الديني<sup>1</sup> ولذلك لجأ مرسيا إِيَاد لاستخدام الهرمينوطيقا في تاريخ الأديان من أجل فهم الظاهرة الدينية وتراكيبها بشكل صحيح وتقريبها من الإنسان الغربي اللاديني ليتمكن من تجاوز نزعتة الفكرية المتمثلة في رفض الدين.

<sup>1</sup> مرسيا إِيَاد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 30.

## المبحث الثاني: قيمة مرسيا إلياد في الدراسات الدينية

## المطلب الأول: تاريخ الأديان

إرتبط إسم مرسيا إلياد بتاريخ الأديان والبحوث حول الظاهرة الدينية واللغة الرمزية المستخدمة في مختلف الأنساق الدينية، ومحاولاته ردها إلى الأساطير الأولية والبدائية، حيث كان ولا يزال عميدا لمؤرخي الأديان، فصرف العقد الأخير من حياته في التخطيط لموسوعة الدين، والإشراف على تدوينها، وواكبها حتى نهاية حياته 1986، فكان له منهج خاص في قراءة الدين والظاهرة الدينية، فاستعمل المنهج الفينومينولوجي وعلم النفس الديني (مدرسة التحليل النفسي) و الهرمينوطيقا ... إلخ<sup>1</sup>، ويؤمن إلياد أن البحث في تاريخ الأديان عبارة عن غوص التراث الإنساني الضخم يولد في نفس الباحث محبة الإنسان أوسع وأعمق مما تدعوا إليه إنسانية الغرب الغير متدين<sup>2</sup>، فتاريخ الأديان يعبر عن المشاعر الدينية التي سيطرت على الإنسانية وحضاراتها المختلفة التي لم تخلوا من الشعور الديني، وبهذا الصدد كتب إلياد في مقدمة موسوعة الأديان (تاريخ الأديان يكشف لنا عن مسيرة وسيرة الإنسان في تعاطفه مع المقدس، أي تلك الظاهرة الشاملة التي تتجلى بصوره المختلفة)<sup>3</sup>، وبذلك يكون قد أولى اهتمامه لتأريخ الأديان وفق طابع موسوعي، فالدراسة التاريخية للدين هي دراسة التدين التي تنطلق من تفحص الشعور الديني وظواهره بغض النظر عن الإيمان بالعقائد الدينية<sup>4</sup>، حيث يقف الباحث وقفة حيادية مفادها دراسة موضوعية للأديان، قصد محاولة إيضاح نشأتها التاريخية وأهدافها وتطوراتها، وبيان أثرها في تنمية الفكر الإنساني تطوره، وبهذا يكون تاريخ الأديان عبارة عن دراسة علمية، حيث يعرفه (جان باروزي): «إن تاريخ الأديان أولاً، والعمل ثانياً على كشف ما بينها من تشابه وتباين بغية الوصول إلى دراسة الأديان أولاً، والعمل ثانياً على كشف

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 16.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار مصدر سابق، ص 28.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 27.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 19.

ما بينهما من تشابه وتباين في الوصول إلى دراسة الدين بذاته، أي مميزات العاطفة الدينية<sup>1</sup>، كما تتعلق بدراسة تلك العلاقة تجمع المقدس بالدنيوي التي ركز عليها إلياد في دراسته للأديان، وتظهر المقدس الذي يعتبر محصلة الظاهرة الدينية بكل ما تحويه من طقوس<sup>2</sup>، فكل طقس وكل أسطورة أو معتقد أو رمز أو صورة إلهية تعكس تجربة المقدس التي تتجلى في العبادات والأعياد والصلوات والترنيمات... إلخ.

تناول إلياد تاريخ الأديان في العديد من المؤلفات ناقش من خلالها البنية الدينية بدائية من الإنسان الأول الذي مارس السحر، حين أوضح ديانات العصور الحجرية القديمة والجديدة إضافة إلى ديانات حضارة ما بين النهرين ومصر القديمة، و الديانات الهندية والآلهة الفيدية والفارسية والإغريقية<sup>3</sup>، فأرخ ديانات شعوب الشرق الأدنى باختلاف تراكيبها وأصولها، كما ناقش إلياد في تأريخه للأديان ظاهرة التصوف في ديانات الشرق القديم واليهودية والمسيحية والإسلام، كما درس الغنوص والعرفان المؤسطر، وتقنيات اليوغا التوفيقية الإغريقية وهرمسية القرون الوسطى وصوفيات الإسكندرانيين<sup>4</sup>، التي ألهمت الشعر الأوربي الحديث ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل قدم إلياد في بعض فصول سلسلة تاريخ الأفكار المعتقدات بعض دروسه في تاريخ الأديان التي درسها من سنة 1933م إلى 1938م في جامعة بوخارست، وفي المدرسة الدراسات العليا سنة 1946م حتى سنة 1956م في جامعة شيكاغو<sup>5</sup>، حيث كان يعمل جاهدا على تغذية هذا التخصص وتنميته وتطويره وإقامة بحوث تاريخية علمية للأديان العالمية، ففي سلسلة تاريخ الأفكار والمعتقدات التي تعتبر من أضخم سلسلة التاريخ الأديان لإلياد، أكمل في الجزء الثاني منها بعض من الأعمال التي ظهرت سنة 1977م وحتى بداية 1978<sup>6</sup>، فاهتم بمضاعفة المعلومات المتعلقة بديانات ما قبل التاريخ

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 13.

<sup>2</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج 1 مصدر سابق، ص 10.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 460.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 12.

<sup>6</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج 2 مصدر سابق، ص 13.

للصين والسلت والجرمن والتراس، إضافة إلى الكيمياء والغنوصيات ... إلخ) كما تنازل ديانات التبت واليابان وآسيا الوسطى والشمالية... إلخ<sup>1</sup>، وتحليل ظواهرها الدينية وطقوسها المتنوعة، ومدى تعلق الإنسان الديني بتلك المناطق بالمقدس، كما تناول في الجزء الثالث من تاريخ الأفكار والمعتقدات، اليهودية والمسيحية وفيض الإسلام، والحركات الألفية للقرنين الثاني عشر والثالث عشر و تكلم في المجلد الثاني عن اكتشاف الديانات الأمريكية القديمة واللاهوتية والأحادية المعاصرة<sup>2</sup>، حتى أنه علق على الفكر المركزي الأوربي، أما الجزء الثالث أكمل فيه اليهودية والكنائس المسيحية حتى عصر الأنوار و المؤسسات الدينية لأوروبا بين القرن الرابع عشر و الخامس عشر و المرطقات و الممارسات الشعبية و السحر و الكيمياء<sup>3</sup> وصولاً إلى حركات الإصلاح (مارتن لوثر) و الثورة على الدين و الكنيسة و تغيير الفكر الديني لأوروبا، حيث اعتبرت أجزاء تاريخ الأفكار و المعتقدات تاريخاً لأديان العالم القديم التقليدي للإنسانية في كل بقاع العالم<sup>4</sup> و اختلاف المظاهر الدينية من شعب لأخر و من حضارة إلى أخرى، كل ذلك يوضح عمل مرسيا إلياد في تاريخ الأديان الذي اعتبر علماً من أعلامه فقد خلده في جميع مؤلفاته حتى وصل إلى العمل الموسوعي الذي جمع فيه معظم و أقدم الممارسات الدينية التي عرفتها البشرية طوال تاريخها.

### المطلب الثاني: فينومينولوجيا الأديان

إن دراسة الظاهر الدينية تأخذ الكثير من الأبعاد، فهي لا تتوقف عند حدود البعد التاريخي للدين، بل تتخطاه بكثير حتى تفهم بالشكل الصحيح، لذلك وجد ما يعرف فينومينولوجيا الأديان التي عمل بعها مرسيا إلياد خلال دراسته للأديان العالمية عبر العصور، وبذلك يكون قد تبني وجهة نظر خاصة لتاريخ الأديان مركز فيه على الجانب الفينومينولوجي الذي يهدف إلى استكشاف الظاهرة

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص4.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص15.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات ، ج3 مصدر سابق، ص6

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص7.

الدينية، ومعرفة أسبابها ومرتكزاتها<sup>1</sup> ومميزاتها، إذ يقول "فينومولوجيا إجتهد تأويلي مقارن ومرفولوجيا تاريخية للظواهر الدينية في آن واحد نسميه فينومولوجيا الأديان"<sup>2</sup> التي تبني عن البنية الدينية، وإستكشاف مقوماتها الداخلية التي غالبا يعترتها الغموض من خلال العلاقة المتميزة بين المقدس المتعالي والديوي، فتاريخ الأديان مرتبط أولا وأخيرا بالظاهرة الدينية التي تمتزج بالفينومولوجيا (فينومولوجيا الأديان) تلك التي استعملها إلياد بمعناها الأوسع<sup>3</sup>، حيث كان ينشد من خلالها التغلغل والتعمق في الظواهر الدينية المتعددة بغية فهمها وتحليلها بشكل أدق، وبذلك تعتبر فينومولوجيا الأديان عند إلياد هي دراسة الظاهرة الدينية، ومقارنتها مع آلاف الظواهر الدينية الأخرى، سواء المماثلة أو المختلفة<sup>4</sup>، والغوص في محتوياتها باعتبار أن الطريقة فينومولوجية في تاريخ الأديان تعمل على إعادة بناء موضوع الظاهرة الدينية في الذهن، وتطمح إلى بلوغ بنيات كلية، وتقديم تحليلا منظوميا نسقيا للدين وظواهره<sup>5</sup> المتعددة، وبالتالي تقدم شرحا أو تفسيراً لظاهرة الدينية.

وعلى الرغم من أن مرسيا إلياد قد عاش فترة صعبة تفرق في الاختصاص، أما مؤرخ الأديان أو فينومولوجي أديان<sup>6</sup>، إلا أنه لم يوضح لهذا التصنيف، بل نجده زواج بين (فينومولوجيا الأديان) و (تاريخ الأديان) باعتبارهما يكملان بعضهما البعض، فلا يمكن دراسة الظاهرة الدينية من وجهة تاريخية فقط، بل لابد من تجاوزها للوصول للبنى الداخلية لها، قد يأخذ إلياد بالجانب الفينومولوجي حين يرى بأنه ينبغي على دارس الأديان ألا يغرق في البحث المعمق لمختلف الأوضاع التاريخية بأشكالها وألوانها المتعددة، وإنما يكون هدفه الرئيس لإيجائه التحليل الفينومولوجي لمعنى المعطيات<sup>7</sup> التي تحصل عليها، وبذلك يكون أَلْمُ بالظاهرة الدينية، مما يجعله يصل إلى تفسيرات وتأويلات لها،

<sup>1</sup> مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 18.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 19.

<sup>3</sup> مرسيا إلياد: المقدس والعادي مصدر سابق، ص 23.

<sup>4</sup> مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين مصدر سابق، ص 20.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 22.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 24.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 25.

حيث دعي إلياد للنظر في تاريخ المعاني الدينية بوصفه جزءا مهما من تاريخ الفكري البشري، فمؤرخ الأديان لابد أن يكون فيمينولوجي أديان<sup>1</sup>، وفق دراسة مختلف الظواهر الدينية بأشكالها ، ومقارباتها المختلفة، واستكشاف معانيها العميقة، حيث يؤكد إلياد أن هناك علاقة دينامية بين تاريخ الأديان وفيومينولوجيا الأديان<sup>2</sup>، باعتبارهما يكملان بعضهما البعض في تتبع وفحص الظاهرة الدينية تاريخيا، ومعرفة زمانها ومكانها من جهة، والتعرف على كيان ولباب تلك الظاهرة ومحتوياتها من جهة أخرى، وبذلك يتم الإمام بظروف ومعاني الظواهر الدينية بكل جوانبها وأبعادها المتنوعة.

### المطلب الثالث: أنثروبولوجيا الأديان

مما لا شك فيه أن للدين دورا محوريا وأساسيا في تشكيل الحياة الاجتماعية، لذلك يعد مركزيا في الدراسات الاجتماعية، وهذا ما جعل هناك فرع خاص يعنى بالظاهرة الدينية، كونها لا تفارق الفكر والبنية الاجتماعية، ويتمثل هذا الفرع في أنثروبولوجيا الأديان الذي يتضمن الممارسات الشعبية للدين، وتصورات المجتمعات الأولى للكون والحياة، والوجود، وما يدور في فلكها من نشاطات دينية، حيث يعتبر مرسيا إلياد من الباحثين الأنثروبولوجيين الذين شرعوا في دراسة الظاهرة الدينية منذ مطلع القرن العشرين، حيث شرع الباحثون دراسة الظاهرة الدينية وتعريفها<sup>3</sup>، من خلال ما ينتج عنها من معتقدات وطقوس (التصوف، السحر، الأساطير ... إلخ) التي كانت بمثابة حجر الزاوية الذي إنبنى عليه تفكير الإنسان الأول وحتى الحضارات الحديثة والمعاصرة، لذلك اهتم إلياد بالأنثروبولوجيا وما تقدمه للحقل الديني، فكل منهج أو مقارنة أو ممشى أنثروبولوجي يضئ الظاهرة الدينية من ناحية خاصة<sup>4</sup>، فيعمل على إبراز سمات مختلفة من شأنها تفسير وفهم الأديان، الشيء الذي جعل إلياد يرحب بالأنثروبولوجيا ترحيبا شديدا ويشيد بفضائلها في كشف خبايا الظاهرة الدينية وممارساتها<sup>5</sup>،

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 26.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 27.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 20.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 23.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 31.

خاصة في أساطير البدايات، أي حكايات الخلق والتكوين، فالإنسان التقليدي كان يمارس أنواع كان يمارس أنواع الأساطير المكانية و الزمنية التي كانت تقربه من المقدس، حيث يرى إليات أن الأحداث المقدسة هي تمثل ممارسة دينية يشترك فيها الكل فهي تقوم على مبدأ المشاركة (أي المجتمع)، وهنا تتدخل أنثروبولوجيا الأديان، ذلك أن الدراسة الدينية تضفي بالضرورة إلى دراسة أنثروبولوجية<sup>1</sup> دينية تسلط الضوء على الطقوس والمعتقدات للأديان المتعددة، فتحدث إليات وغيره من الأنثروبولوجيين عن طقوس التحول أو العبور أو التغيير (كالولادة، الختان، التعميد، الزواج، الوفاة... إلخ)<sup>2</sup> التي لا تكاد تخلو من الطقوس والممارسات الدينية، والتي تميز كل مناسبة عن الأخرى من خلال الترانيم والصلوات، كما قدم إليات الأنثروبولوجيا الدينية بأشكال متعددة كموضوع المكان المقدس والمكان المدنس مفاده الحديث عن علاقة الإنسان بالقداسة، ونفوره من الدناسة التي تظهر في شكل ديني محض<sup>3</sup>، حيث ضل الإنسان طوال آلاف السنين يمارس طقوسا معينة من خلال تقديس أمكنة وأزمنة مختلفة تتميز بالقداسة، فمجملة أبحاث إليات الأنثروبولوجية الدينية تمخض عنها قناعة تتمثل في أن الشعوب الأولى البدائية يشعرون أنهم لا تتوفر لهم إمكانية الحياة إلا في ضل الصلة مع القوة الإلهية<sup>4</sup>، وإلا سوف تصبح حياتهم مستحيلة خالية من أي معنى، مما دفعهم للبحث عن المقدس بطرق مختلفة من خلال نسج الأساطير التي تتحدث عن القداسة أو توظيف رموز مقدسة تعبر عن التعالي لذلك يقصدها العابد من أجل التقرب و اللحاق بالقداسة.

#### المطلب الرابع: تقييم الرؤية الدينية الإليادية

اهتم مرسيا إليات بالظاهرة الدينية باعتباره مؤرخا ، فتناولها وصفا وتحليلا معتمدا على مناهج وفلسفية و علمية و نفسية لإمام بالممارسات الدينية المختلفة انطلاقا من الإنسان الأول، والحضارات البدائية التي أولت اهتماما بالغا بالدين من خلال الأسطورة التي ركز عليها إليات باعتبارها ركن

<sup>1</sup> مرسيا إليات: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج1 مصدر سابق، ص85.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص87.

<sup>3</sup> مرسيا إليات: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج3 مصدر سابق، ص80.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص89.

أساسي وبارز في بناء الفكر الديني للإنسان القديم التقليدي، حيث وصفها أنها حقيقة تعبر عن واقع التجربة الدينية، فهي تسرد تاريخ المقدس وتخلد آثاره في هذا الكون متجاهلا في ذلك المعنى الحقيقي للأسطورة كونها قصة خيالية خرافية بعيدة كل البعد عن الحقيقة و الواقع فكل ما ترويه من أحداث ومآثر لا علاقة له بالواقع أبدا، وبذلك يكون إلياد قد استعمل الميثولوجيا بشكل معاكس لطبيعتها الخيالية الخرافية حيث وظفها وفق معاني و بنى مغايرة لها ، فكيف للفكر الأسطوري الخرافي أن يروي أو يحكي واقع وحقائق لا يمتلكها أصلا، ذلك أن الحقيقة تناقض الأسطورة بل تدحضها دحضاً.

قام إلياد بربط الظاهرة الدينية بالإنسان الأول المتميز بالفكر الأسطوري الميثولوجي الخيالي الخرافي، فإنسان الحضارات البدائية ذو تفكير ساذج وهمي و هذا ما اعتبره تايلور حيث أكد أن الإنسان البدائي الأول لم يستطع رسم فاصل بين الكائنات الحية والأشياء الجامدة ولذلك نقل إيمانه للأرواح و المظاهر الطبيعية<sup>1</sup>، حيث فسر الطبيعة بالخيال والأرواح الخفية التي تسكنها وتعيش فيها، ذلك أن دين الإنسان البدائي مبني على الخيال الأسطوري الساذج، لهذا السبب اعتبر دوركايم الدين في هذه الحقب التي تناولها إلياد بالدراسة الدينية دين نشأ على أساس التهويمات التي تتخذ من الأحلام والأرواح والأساطير منطلقاً لها وبذلك تختصر الظاهرة الدينية على أشكال نظام التهيؤات<sup>2</sup> القائمة على جملة من المجازات والرموز التي تفتقد القيمة الموضوعية، وابتعاد الأفكار الدينية عن الواقع والحقيقة، حيث يصبح منظور الإنسان المتدين للوجود عبارة عن عالم مسكون بكائنات لا تمتلك إلا وجود شفوي معلقاً في نزاع الوهم<sup>3</sup>، هذه النظرة الاجتماعية والأنثروبولوجية لدوركايم التي تنافي بل تعارض الرؤية الدينية لإلياد.

وبذلك يكون إلياد قد أقام دراسته للدين وتاريخه له على البنية الفكرية الساذجة والخرافية للإنسان الأول من خلال إيمانه بالمطلق عن طريق الميثولوجيا والمجازيات والرموز الوهمية الفارغة

<sup>1</sup> فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني مرجع سابق، ص 313.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 316.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 320.

والمفتقرة للتفكير العقلاني، وعلى الرغم من مزاعمه التحليلية للظاهرة الدينية التي جزم أنها لا تفارق الوعي الإنساني عبر العصور المتعاقبة ذلك أن الدين أساس لوعي الإنسان الديني و اللاديني، لكن النظريات الباحثة في مجال نشأة الدين وأصله التي انقسمت إلى زمرتين أولهما تحدثت عن الأصل العقلاني، وثانيهما تمثل الأصل العاطفي الغير العقلاني أكدت كل من النظريتين أن الدين لا ينبع من الوعي ولا يستقر فيه بل منبعه مجرد وهم خلقه خيال البشر وعواطفهم<sup>1</sup> عبر التاريخ ، وأنه لا يعكس أي خبرة لها علاقة مع العالم الحقيقي والوجود والكون.

إن الرؤية الدينية لمرسيا إلياد النابعة من دراسته المتعمقة لتاريخ الأديان دفعته إلى قناعة راسخة أكدها من خلال تحليلاته الإيمانية الدينية، وهي أن الدين والإيمان بالمقدس هو أمر متأصل في البنية الذهنية والفكرية للإنسان عموماً حتى أنه جزم أن الإنسان اللاديني عمقه لا يخلو من دين أجداده، ولقد أكد ذلك من خلال المنهج الفينومولوجي لفهم بنية الفكر الديني، إضافة إلى اعتماده على علم النفس الديني من خلال مدرسة التحليل النفسي التي أثبتت من خلالها استحالة مفارقة الدين والشعور الإيماني للإنسان، لكن هذه النظرة تعارضها وتنفيها الأحداث في أوروبا خلال العصر الحديث، حيث ظهرت الثورة العلمانية كحركة جادة لمواجهة سلطة الدين الذي سيطر على أوروبا خلال فترة العصور الوسطى، فكان سببا في الانحطاط الحضاري الذي أثمرته تطبيقاته التي جمدت أوروبا ومجتمعها وعلومها<sup>2</sup>، فكانت سببا في الثورة العلمانية التي فجرت فلسفة التنوير الأوربي فأقامت قطيعة معرفية مع الأفكار الدينية، وأسست لنزعة علمانية حديثة قائمة على العقلانية، وبذلك حل العقل والتجربة محل الدين واللاهوت وعزل السماء على الأرض<sup>3</sup>، إضافة إلى عدم تكريس الفكر الديني الذي نتج عنه انحرافات عارمة في أوروبا خلال عصور الظلام ، تلك التي حكمتها الباباوات مستندة على سلطة الدين، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأصوات الراضية لهذه الأوضاع كما حدث

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 330.

<sup>2</sup> محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص18.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، (د.ط) ، مطبعة لجنة التأليف، بيروت، 1936 م، ص 80.

مع ماترتن لوثر وغيره<sup>1</sup> لتحرير الإنسان الأوربي، الذي عانى أشد المعاناة أيام سيطرة الكنيسة التي رفعت شعار اعتقد ولا تنتقد، لإحكام قبضتها على المجتمع الأوربي الذي جردته من حقه في حياة كريمة ووعدته بنعيم أخروي مفارق، لذلك تبنت أوروبا العلمنة التنويرية إضافة إلى التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية باعتباره مجرد خالق فرغ من الخلق وانحصرت عنايته بذاته دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها دون حاجة لوجوده معها<sup>2</sup>، والتخلي عن الفكر الديني، وعدم تفسير أمور الكون والوجود والإنسان تفسيرات دينية خالصة، لذلك تم اللجوء للفكر العلماني التحرري العقلاني للخروج من عتمة اللاهوت والميتافيزيقا والولوج لعصر الأنوار والعلمنة التي نادى بها المفكرون والفلاسفة العلماء الغرب المحدثين والمعاصرين من أجل تعويض الفكر الديني بالفكر العقلاني الذي يوضح الرؤية المنطقية للحقائق، حيث أثبت هوبرت سبنسر دور العقل في فهم الواقع ، فهو يعترف أن المادة لا تعرف إلا عن طريق العقل فقط، فالعقل الإنساني تطور وتطورت طرائق استجابته للبواعث الخارجية من صور بسيطة إلى أخرى معقدة<sup>3</sup>، وبذلك تنهوى الدعاوى الرامية إلى استيعاب الكون والوجود الإنساني من خلال نظرة دينية مقدسة وتفسير لاهوتي وميتافيزيقي لا معنى له.

إن الدراسات الدينية لمرسيا إلياد تضمنت نتائج عدة كان من بينها ما أسماه (بالمذهب الإنساني الجديد) على غرار المذهب الإنساني والنزعة الإنسانية الأوربية الحديثة، حيث كان يؤسس من خلاله بناء نزعة إنسانية نابغة من الدين والإيمان المقدس، منتقدا أنسنة الإنسان الغربي الحديث، باعتبار أن النزعة الإنسانية جاءت كرد فعل عن الانحرافات الدينية الأوربية التي حطت من قيمة الإنسان، لذلك تأسست هذه النزعة على سلخ الفكر الديني، وفصل الفلسفة والتفكير العقلاني عن الدين الذي شنت ضده حملة شرسة كانت تهدف إلى الخروج من العصر الوسيط الديني بجميع

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 84.

<sup>2</sup> محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية مرجع سابق، ص 19.

<sup>3</sup> ول ديورانت: قصة الفلسفة، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1988م، ص 452

مظاهره ، ورميه بالجهل والعبارة ونعته بالبربرية<sup>1</sup>، كما عمل على تفويض الفكر الكنسي من خلال حركات (البروتستانت) والاحتجاج على الغفران البابوي فتصاعدت دعاوى الإصلاح التي بددت علم اللاهوت، حيث انتقد المفكرون الإنسانيون الممارسات السيئة للكنيسة ورجال الدين، مما أدى إلى إحداث نهضة عارمة على الفكر الديني المسيحي ومناهضته واستبداله بالدراسات التجريبية التي طورت الحياة الأوربية<sup>2</sup>، حيث حقق قفزة نوعية فتحت المجال للتقدم العلمي، حيث أحرزت العلوم الفيزيائية والرياضة تقدما سريعا أدى إلى فتح تكنولوجيا هائل ضمن سيادة الغرب الذي حقق مكاسب فكرية عقلية منطقية ومكاسب مادية<sup>3</sup>، كان ذلك عاملا متشجعا على تبني الفكر العقلاني، والطبعاني العلمي المستقل عن الدين الذي أهمل العقل خلال العصور الوسطى الدينية المظلمة.

وبذلك تنهوى النزعة الإنسانية الدينية التي نادى بها إلياد، فكيف تشق طريقها في عالم مبني على المادية والفكر المادي بعيدا، كل البعد عن الميول الإيماني الذي تخلت عنه أوروبا في عصرها الحديث والمعاصر الذي يتخلى عن الدين فقط، بل نفى وجود الإله المقدس، وأكد الطبيعة بدلا منه<sup>4</sup>، باعتبار أن فكرة القدسي حديث لا طائل منه تخطاه الغرب منذ زمن بعيد، وهذا ما أدى إلى ظهور الفكر الإلحادي من خلال فكرة موت الإله مع نيتشه ومن تبعه من الراضين للفكر الديني جملة وتفصيلا، ولم تقتصر النزعة العلمانية في أوروبا على فقط، بل تجاوزت حدودها لتصل إلي العالم العربي الإسلامي الذي بدت عليه ملامح العلمانية من خلال دعاوي فصل الدين عن الدولة، وعلمنة الفكر العربي حيث أقتنع الكثير من مفكريه أن سقطته الحضارية الكارثية كانت نتيجة موروث ديني لا طائل منه، لذلك وجب التخلي عنه وأتباع الأفكار الأوربية التي حققت نهضتها الحضارية عن طريق رفض سلطة الدين والتخلي عنه.

<sup>1</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعارف، القاهرة (د،ت،ن)، ص 7.

<sup>2</sup> براتراندراسل: حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، ج2 (د ط)، عالم المعرفة، الكويت، 1993 م، ص 16.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 17.

<sup>4</sup> يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة مرجع سابق، ص 63.

## خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل نستخلص أن الفكر الديني يلتقي مع الفكر الفلسفي لتتشكل فلسفة الدين من منطلق أن الدين يعبر عن الفكر الإنساني الذي لا ينفصل عن الحكمة، فكل الأديان تتمتع بفلسفة خاصة بها يتميز به عن غيره، وهذا ما عبر عنه مرسيا إلياد الذي تنوعت عطاءاته الفكرية الدينية والفلسفية، فتاريخ الأديان وفلسفتها نجم عنها ما يعرف بالهرمينوطيقا والتأويل، فضلا عن مناهج الفينومينولوجيا و الأنثروبولوجيا، كلها وضفت لخدمة الظاهرة الدينية ودراستها وتحليلها.

وعلى الرغم من الدراسة المستفيضة للظاهرة الدينية، إلا أن مرسيا إلياد لم يسلم من التعرض لمجموعة من الانتقادات لأطروحاته ورؤيته الدينية التي تصدى لها التيار العلماني الذي ألغى الفكر الديني بداية من عصر النهضة في أوروبا واستبداله بالفكر العلمي العقلاني، وذلك بنعت الدين بالتخلف باعتباره كان سببا في الانحطاط والتقهقر، لذلك كان يجب التخلي عن الفكري بحلول الفكر العلماني في الغرب والعالم برمته، إلا أن إلياد مرسيا لم يقتنع بالرفض الأوربي للدين، ولم يحد عن عزمته في تمجيد الدين من خلال شرح مقارنة المقدس والمدنس التي لا تزال متواصلة مع سيرورة الفكر الإنساني الذي لا يمكنه أن ينسلخ عن الدين، فهو متأصل فيه، لهذا طرح فكرة المذهب الإنساني الجديد المبني على الفكر الديني، وإعادة تأسيس موقع لظاهرة القداسة، حيث يرمي من خلالها معالجة مختلف المشكلات الإنسانية المصيرية التي تتعلق بالوجود الإنساني، ومستقبل وجوده، ومحاربة وكل الرؤى لمحاربة المسعى الديني.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث الذي يتمحور حول المقاربة الدينية أو ظاهرة الدين عند مرسيا إلياد، يمكننا أن نستنتج ما يلي :

- أن مؤرخ الأديان مرسيا إلياد اهتم بالدين والظاهرة الدينية ، حيث تناولها بالدراسة والبحث والتحليل، مسلطا الضوء على ديانات الأزمنة الغابرة التي عاشها الإنسان الأول فتمحص في معتقداته وطقوسه وعباداته وصلواته ورموزه وأساطيره، من اجل إدراك الظاهرة الدينية وقواعدها وبنيتها، لهذا نجده قد سخر مجموعة من المناهج الفلسفية و النفسية و الأنثروبولوجية من أجل فهمها واستيعابها، وخصوصا فهم تلك العلاقة القائمة بين المقدس والمدنس، من خلال ذلك الشعور الإيماني للإنسان الديني الذي يبحث عن القداسة التي تنبع من الإله المفارق المطلق للانهائي، الذي يتجلى بأبعاد مختلفة في الكون والوجود، من خلال المكان والزمان والتاريخ ، لهذا اقترح إلياد مفهوم التجلي، فالمقدس ليس متماثلا مع الإلهي بل هو تجلي له في أمكنة وأزمنة وتواريخ متباينة ، فتصبح هناك إمكانية للعبور من الدنيوي العادي إلى المقدس، حيث لا يوجد توازي أو تعارض بين العالمين، لذلك تمثل الطقوس حسب إلياد الجسر الذي يجسد ذلك العبور من الزمن الدنيوي العادي إلى الزمن المقدس.
- ركز مرسيا إلياد في دراسة الأديان على مفهوم الأسطورة وأبعادها الميثولوجية بنية أساسية لقوام الظاهرة الدينية ، فلم يعتبرها مجرد قصة خيالية خرافية ونسيج أوهام، بل أكد أنها تسرد وتخلد الخوارق و البطولات الإلهية كحقائق ووقائع الظاهرة الدينية كما يرى أنه تساعد على العبور للعيش في زمن الآلهة، وذلك بفضل الحكاية المقدسة التي تجسدها الأسطورة باعتبارها تخلد تاريخ المقدس.
- يرى إلياد أن الظاهرة الدينية لم تخلو من الرمز، فالرموز كانت وتزال قاعدة دينية بامتياز حيث يرى أن الإنسان يتواصل مع عالمه بلغة الرموز ، فإذا ما كان العالم يتحدث إلى الإنسان عبر النجوم والأجرام السماوية والحيوانات والوديان ... إلخ ، فإن الإنسان يجيبه بالحلم والقدرة على الحياة والموت بشكل متجدد، تلك القدرة التي تضمنها وتحققها طقوس العبور إلى عالم

القداسة من خلال الرموز المتعددة ، التي لا تفارق الأديان ، ذلك أن الإنسان يلجأ لتوظيف الرموز ليقترّب أكثر من المقدس ويخرج من العالم العادي.

- **ميّز مرسيا إلياد** بين الإنسان الديني و اللاديني من خلال نظرتة للوجود والإنسان والكون فكل منهما له وجهة نظره الخاصة ، فالإنسان الديني يقيّم الوجود والكون وحتى وجوده كعنصر من هذا الكون عن طريق شعوره الديني الذي يشع بالإيمان بالمقدس ، عن طريق تجليه في كل ما خلقه، أما النظرة اللادينية تنفي كل تجلي للمقدس في هذا الكون والوجود ككل حيث انتزع صفة القداسة من العالم ، بمعارضة التفكير الميتافيزيقي واستبداله بالتفكير العقلاني لكن إلياد أكد أن الدين لا يقتصر على الإنسان المتدين فقط، بل جزم انه يستقر أيضا داخل أعماق الإنسان الغير متدين ، فهو يحتفظ بالفكر الديني الذي يختزن داخله باعتباره يشكل وعي الإنسانية دون تمييز .

- لم يقع إلياد في فخ ثنائية الإنسان التقليدي والمعاصر ، فالمقدس لم يكن سمة تخص المجتمعات التقليدية فحسب، بل إنه تجربة يعيشها الإنسان من حيث هو كائن متفتح على العالم ذلك إن الفكر الديني لم يقتصر علي مرحلة من مراحل الإنسانية ، بل كان حاضرا في جميع الحقب و الأزمنة التي عاشتها البشرية .

- عرض مرسيا إلياد من خلال مقارنته الدينية آراء وأطروحات متميزة، كان أبرزها ما وسمه بالمذهب الإنساني الجديد والنهضة الجديدة ، انطلاقا من الشعور الإيماني والتدين ، على عكس المذهب الإنساني أو النزعة الإنسانية خلال العصر الحديث، حيث وضعت أوروبا حدا للدين من خلال حركة الأنسنة أو النزعة الإنسانية والنهضة العلمية التجريبية، فركزت على البعد المادي و أهملت ما هو روحي هذا ما انتقده إلياد في الفكر الأوربي اللاديني، لهذا أراد بناء نهضة فكرية جديدة وفكر إنساني مختلف مبني على الدين و موسوم بالتدين، فهو يعترف بل يؤكد علي فطرية الدين ، ذلك أن غياب الدين لا يقتضي أبدا زوال التدين باعتباره راسخا في الوعي البشري، وهذا ما يقتضي تعريف جديد للإنسان بأنه كائن متدين ، فالدين يعمل

على بناء الروح وتغذيتها ، ويقوم بتحقيق التوازن بين الشق الروحي و الشق المادي له وهكذا يمكن للإنسان مواصلة حياته بسلام.

إن البحث التاريخي لتداعيات الظاهرة الدينية وحيثياتها لم يكن منحصرًا في تاريخ الأديان فقط، بل تجاوزه إلياد لولوج مجال فلسفة الدين، ذلك أن الدراسات والبحوث للأديان وتمحيصها وتحليلها، كله يصب في مبحث فلسفة الدين التي تعمل على التحليل العقلي لظاهرة الدين إضافة إلى استعماله لمناهج فلسفية خلال تناوله الظاهرة الدينية، حيث لجأ لاستخدام الفينومينولوجيا، لدراسة الشعور الديني والإيماني، إضافة إلى التأويل و الهرمينوطيقا التي تعمل على فك الغموض، للتقرب من الممارسات الدينية وفهمها أكثر و محاولة استيعاب المقدس وتجلياته في الوجود وتحديد العلاقة التي تربط المقدس بالمدنس.

# قائمة المصادر و المراجع

1) قائمة المصادر:

- مرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار، تر حسيب كاسوحة، د.ط، منشورات الثقافة، سوريا، 2004م.
- مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، تر سعود المولى، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2007م.
- مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للطباعة، سوريا، 1988م.
- مرسيا إلياد: المقدس والعادي، تر: عادل العواء، دار التنوير، لبنان، 2009م.
- مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج1، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1986م.
- مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج2، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1986م.
- مرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات، ج3، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1986م.
- مرسيا إلياد: أسطورة العود الأبدى، تر نهاد خياطة، ط1، دار طلاس للترجمة والنشر، سوريا، 1987م.
- مرسيا إلياد: مظاهر من الأسطورة، تر نهاد خياطة، ط1، دار كنعان للدراسة والنشر، سوريا، 1981م.
- مرسيا إلياد: ملامح من الأسطورة، تر حسيب كاسوحة، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1990م.
- مرسيا إلياد: صور و رموز، تر حسيب كاسوحة، ط1، وزارة الثقافة، سوريا، 1999م.

- مرسيا إلياد: التنسيب والولادات الصوفية، تر حسيب كاسوحة، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1990م.

## 2) قائمة المراجع العربية:

1. أحمد عبد الحميد الرفاعي: المسؤولية الجنائية الدولية للمساس بالمعتقدات الدينية، (د.ط)، دار النهضة العربية، مصر، 2007م.
2. أرمستونغ كارن: تاريخ الأسطورة، تر وجيه قانصو، ط1، الدار العربية للعلوم، (د،ب،ن)، 2008م.
3. براتراندراسل: حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، ج2 (د ط)، عالم المعرفة، الكويت، 1993م.
4. بول ديكسون: الأسطورة والحداثة، تر خليل كلفت، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، 1998م.
5. جيلير دوارن: الخيال الرمزي، تر علي المصري، ط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1991م.
6. خان محمد عبد المعين: الأساطير العربية قبل الإسلام، ط2، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1983م.
7. خان محمد عبد المعين: الأساطير والخرافات عند العرب، ط3 دار الحداثة، لبنان (د،س،ن).
8. الخشت عثمان محمد: مدخل إلى فلسفة الدين، ط1، دار قباء، القاهرة، 2001م.
9. الخطيب محمد: الانتروبولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، (د،ط)، دار علم الدين، مصر (د،س،ن).
10. خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط3، دار الطليعة، بيروت (د،س،ن).
11. ديورانت ول: قصة الفلسفة، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1988م.

12. رودولف أتو: فكرة القدسي، ط1، دار المعارف الحكيمة، (د،ب،ن)، 2010م.
13. زعيمي مراد: نظريات علم الاجتماع الديني، د ط، محضرات للدراسات العليا (د، ب، ن) 2007م.
14. سامية الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني، الكتاب الأول، ط1، دار المعارف، مصر 1982م.
15. سرنج فليب: الرموز في الفن الأديان الحياة، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1992م.
16. السمالوطي نبيل محمد توفيق: الدين والبناء الاجتماعي، ج1، ط1، دار الشروق، 1981م.
17. سميث هوستن: أديان العالم دراسة روحية تحليلية وممتعة لأديان العالم الكبرى، توضح فلسفتها تعاليمها وجوهر حكمتها، تر سعد رستم، ط3، دار الجسور الثقافية، سوريا، 2007م.
18. السواح فراس: دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، 2002م.
19. السواح فراس: الأسطورة والمعنى، ط1، دار علاء الدين للنشر، سوريا، 1997م.
20. السواح فراس: الوجه الآخر للمسيح، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2004م.
21. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ط3، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، 1981م.
22. العظم صادق جلال: نقد الفكر الديني، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1980م.
23. عمارة محمد: الشريعة الإسلامية و العلمانية الغربية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2003م.
24. عمر محمد صبحي عبد الحي: الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، القاهرة، ( د س ن )
25. عمرو شريف: خرافة الإلحاد، ط1، مكتبة الشروق، مصر، 2014م.

26. عمرو شريف: رحلة عقل هكذا يقود العلم أشرس الملاحظة إلى الإيمان، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2011م.
27. لسود منجي: إسلام الفلاسفة ط 1، دار الطليعة، بيروت، 2006م.
28. لوك بنوا: إشارات الرموز وأساطير، تر: فايز نفش، ط1، دار عويدات، لبنان، 2001م.
29. مليكان مصطفى: العقلانية والمعنوية مقاربات في فلسفة الدين، تر عبد الجبار الرفاعي، ط1، مركز الدراسات فلسفة الدين، بغداد، 2010م.
30. نجيب محمود زكي: قصة الفلسفة الحديثة، (د ط)، مطبعة لجنة التأليف، 1936م.
31. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د،ت،ن).

### 3) المعاجم والموسوعات:

1. ابن منظور: لسان العرب، ج2، ط1، المطبعة الأمريكية، القاهرة، (د.س.ن).
2. لالاند أندري: موسوعة لالاند الفلسفية، تر خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، لبنان، 2001م.
3. صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م.
4. عبد المنعم حنفي: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000م.
5. فرانسوا دورتيه جان: معجم العلوم الإنسانية، تر جورج كتورة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي) 2009م.
6. سهال زينر روبرت: موسوعة الأديان الحية أديان النبوءات الأديان السماوية، ط1، مطابع الهيئة المصرية، القاهرة، 2010م.
7. المعجم الوجيز: معجم اللغة العربية، (د.ط)، مطابع وزارة التعليم العالي، مصر 1999م.

#### 4) الرسائل الجامعية:

1. شكشاك فاطمة: التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.
2. لكبير فضيلة: دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006-2009م.

#### 5) المجلات والدوريات:

1. السواح فراس: الدين والأسطورة كنظامين مستقلين ومتقاطعين، مجلة الموقف الأدبي، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 264، نيسان، 1993م.

#### 6) المراجع باللغة الأجنبية:

1. Jacques pirenne, **civiltion antiques**, Edition Albin Michel.
2. Paul Robert, **le petit robert**, Avenue parmentier, paris, G 6; édition, 1986.

الملاحق

- إيمانويل كانط **EMANUEL KANT**: فيلسوف ومفكر ألماني من بروسيا (1724-1804م) تربوي، و بروفيسور أستاذ جامعي، اهتم بنظرية المعرفة ولمواضيع ما وراء الطبيعة والأخلاقيات ... إلخ، كما يعتبر كانط آخر فلسفة عصر التنوير، ومن بين المؤثرين في الفكر الغربي الحديث من أهم مؤلفاته:
  - نقد العقل العملي.
  - نقد العقل الخالص أسس ميتافيزيقا الأخلاق.
- إميل دوركايم **Emil Durkehim**: فيلسوف اجتماعي، من كبار مؤسسي مدرسة علم الاجتماع في فرنسا ( ولد سنة 1858م، وتوفي سنة 1971م ) من أهم مؤلفاته:
  - في تقسيم العمل الاجتماعي سنة 1896م.
  - الاجتماع 1897م.
  - حولية علم الاجتماع.
- أوجيت كونت **Ogest Kont**: عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي اجتماعي (1798-1857م) وهو مؤسس الفلسفة الوضعية والأب الروحي لها ، ومن أهم مؤلفاته:
  - محاضرات في الفلسفة الوضعية.
  - نظام في السياسة الوضعية.
- أفلاطون (**Aflatoon Plato**): هو أرسطو كليس ابن أرسطون يوناني من أثينا (427ق.م-347ق.م) هو فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضي، أسس أكاديمية أثينا التي تعتبر أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، تكلم في نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا، الأخلاق، السياسة، ومن أهم مؤلفاته:
  - الجمهورية كراتيل (حول اللغة).
  - بارمنيدس ( توشيح المنهج الجدلي) السفسطائي حول الوجود .

● أرسطو ( أرسطو طاليس ) **Aristo**: (384 ق.م – 322 ق.م)

هو فيلسوف يوناني ولد في مقدونيا، تلميذ أفلاطون ومعلم الاسكندر الأكبر من بعد أعظم المفكرين، حيث تنوعت عطاءاته الفكرية مثل الفيزياء و الميتافيزيقا، الشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والأخلاق، وعلم الأحياء من أهم مؤلفاته:

- الأورغانون .

- الأخلاق النيقوماخية .

- ما وراء الطبيعة.

● تشارلز داروين ( **Chorles Robert Darwi** ) (1802-1882م): هو عالم تاريخي

طبيعي وجيولوجي بريطاني ولد في إنجلترا، هو مؤسس لنظرية التطور التي تفسر وجود الكائنات باعتباره عالم أحياء أثرت نظرية فكانت أساس لبعض أطروحات المفكرين، ومن أهم مؤلفاته:

- أصل الأنواع 1809م.

- أصل الإنسان 1871م.

● جورج برناردشو ( **George Bernard** ) (1856-1950)

هو مؤلف لندي شهير ولد في دبلن، وانتقل إلى لندن اهتم بالموسيقى والمسرح، كان من أحد مفكري ومؤسسي الاشتراكية الغابية، حيث كانت تشغله نظرية التطور والوصول إلى السوبرمان، ومن أهم مؤلفاته:

- بجماليون 1941م .

- الإنسان والسوبرمان 1903م .

- الأسلحة والإنسان 1894م ... إلخ.

- **جيفري لانج Jeffrey Lang** : من مواليد 30 جانفي 1954م، بروفيسور في الرياضيات أمريكي من مدينة برديجورت يعمل حاليا في قسم الرياضيات، في جامعة سان فرانسيسكو، اهتم بالإسلام حتى أسلم، ولا يزال يدرس الرياضيات في الجامعة.
- **سيمغوند فرويد Freud sigmund**: طبيب أعضاء وطبيب نمساوي، ولد سنة 1856 م، مؤسس علم النفس التحليلي في فراينبورغ من مقاطعة مراقبا، صاغ المنهج التحليلي النفسي مع "جوزيف برويد" ومؤسس مدرسة التحليل النفسي توفي سنة 1939م بلندن من مؤلفاته:
  - علم الأحلام.
  - مدخل إلى التحليل النفسي.
  - قلق الحضارة.
  - مستقبل وهم.
- **سقراط Socrates**: فيلسوف وحكيم يوناني (469 ق.م-399 ق.م) يعتبر من أحد مؤسسي الفلسفة الغربية وهو أستاذ أفلاطون لم يترك سقراط كتابات، وجل ما نعرفه عنه مستقي من خلال روايات تلاميذ عنه، اشتهر سقراط بإسهاماته في مجال علم الأخلاق، ومفاهيم السخرية السقراطي و البيداغوجيا.
- **كارل ماركس Karl Marx**: فيلسوف وعالم اقتصادي ألماني، ولد عام (1818م) مؤسس الشيوعية والفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد العلمي، زعيم ومعلم البتروليا العالمية، توفي في سنة (1883م) له عدة مؤلفات نذكر منها:
  - المخطوطات الاقتصادية و الفلسفية.
  - العائلة المقدسة.
  - الإيديولوجية الأمنية.
  - بؤس الفلسفة.

- **كارل يونغ Karl Gustaf Yung**: هو عالم نفساني سويسري، ومؤسس علم النفس التحليل ولد في سويسرا سنة (1875م)، وتوفي سنة (1961م) اهتم بالطب النفسي، إلى جانب الفلسفة، عمل في مجال الروحانيات مع فرويد من خلال مدرسة التحليل النفسي ومن أهم مؤلفاته:
  - الأنماط النفسية 1961م .
  - البنية التقنية عند الإنسان القوي الروحية .
  - جدلية الأنا واللاوعي.
- **أندري لالاند André Lalande (1867-1963م)** مفكر وفيلسوف فرنسي ولد في ديجون، نال شهادة في فلسفة 1898م، عمل كأستاذ مساعد في الفلسفة في جامعة السوربون، من أهم مؤلفاته:
  - المعجم التقني والنقدي للفلسفة 1926م.
  - نظريات في الاستقراء والتجريب 1929م.
  - الأوهام التطورية 1930م.
  - العقل والمعايير 1938م.
- **ماكس مولر Max Muller (1823-1900م)** هو العالم والفيلسوف الألماني، اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة أسهم في الدراسة المقارنة في مجالات اللغة والدين والأساطير، ومن أهم مؤلفاته:
  - الزمن والروح .
  - التجربة والتاريخ .
  - الأنثروبولوجيا الفلسفية.

- **ماهماغاندي موهانداس كرمشانغاندي Mohandas Karachan Ghnadhi** (1869م-1948م): هو السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند، كان رائدا للساتياغراها، وهي مقاومة الاستبداد، من خلال العصيان المدني الشامل لهذا عرف باسم المهاتما غاندي أي الروح العظيمة.
- **فريدريك نيتشة Friedrich Nietzsche**: فيلسوف ومفكر ألماني، ولد في (15 تشرين 1844م) في روكي بروسيا، ذو نزعة معادية للحياة، توفي في (25 آب 1900م) بفايمار، من مؤلفاته نجد:
  - هكذا تكلم زارذشت.
  - نشأة المأساة عن روح الموسيقى.
- **نيلز يوهنر Niles Henrik Pavid Bolir** (1885-1962م) هو عالم وفيزيائي دانيماركي، أسهم بشكل بارز في البنية الذرية وميكانيكا الكم، تحصل على العديد من الأوسمة جائزة نوبل في الفيزياء، ووسام فرنلكن، ووسام هيوز .... إلخ.
- **نيوتن (إسحاق نيوتن) Isaac Newton** (1642م-1728) عالم انجليزي، اجتهد في مجال الفيزياء والرياضيات، حيث صاغ قوانين الحركة وقانون الجذب العام، ومن أهم مؤلفاته:
  - طريقة التفاضل.
  - حول حركة الأجسام في المدارات .
  - الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية .
- **هيجل جورج فريدريك ولهام Hegel Gorge Fredirich Wilhem**: فيلسوف ألماني، ولد في (27 آب 1770م) بمدينة شتوتغارت، صاحب النزعة المثالية المطلقة، توفي في (14 تشرين الثاني 1831م) من مؤلفاته:
  - فينومينولوجيا الروح.
  - موسوعة العلوم الفلسفية.

- دروس في فلسفة التاريخ.

● **هربرت سبنسر Herbert spencer** (1820م-1903م)

هو العالم والمفكر والفيلسوف البريطاني صاحب نظرية البقاء للأصلح، وهو من أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، من أبرز مؤلفاته:

- أسس علم الحياة 1867 م.

- أسس علم النفس 1896 م.

- أسس علم الأخلاق 1893م.

- الاستيائية الاجتماعية 1850م.

● **رودولف اوتو Rudolf Otto** (1869-1937م) فيلسوف الماني و لاهوتي لوثرى اهتم

بتاريخ الأديان بما فيها من روحانيات ومن أهم مؤلفاته:

- روحانية الشرق و روحانية الغرب.

- مفهوم النعمة بين الديانة الهندية والديانة المسيحية.

- فكرة المقدس.

● **رونيه غينون René Guénon** (1886-1951م) سمي بعد إسلامه عبد الواحد يحي

كاتب ومفكر وفيلسوف فرنسي اهتم بقضايا الميتافيزيقا و مسألة الحداثة من أهم مؤلفاته:

- من ينابيع التجديد في الفكر الاسلامى المعاصر .

- أزمة العالم الحديث.

- مملكة الكم وعلامات الزمان.

● **يوليوس ايفولا Julius Evola** (1898-1974م) فيلسوف روحاني ايطالي عرف بمواقفه

وقيمه الروحية الارستقراطية.

Aperception	إدراك
Archéologie	أركيولوجيا
Mythe	أسطورة
Dieu	الإله
Anthropologie	أنثروبولوجيا
Humanitaire	الإنسانية
Humaniser	أنسنة
Orthodoxe	الأورثودوكسية
Foi	إيمان
Brahma	براهما
Protestantisme	البروتستانتية
Structuralisme	بنوية
Bouddhisme	بوذية
Histoire	تاريخ
Interprétation	تأويل

Psychanalyse	تحليل نفسي
Transcendance	تعالى
Athéisme	إلحاد
Superstition	خرافة
Apologétique	دفاع عن الدين
Religion	دين
Dynamisme	ديناميكية
Symbole	رمز
Symbolisme	رمزية
Vision	رؤية
Temps	زمان
Rationalité	العقلانية
Retour éternel	عود أبدى
Gnosticisme	الغنوصية
Phénoménologie	فينومينولوجيا
Profane	اللادينى

<b>Infini</b>	اللامتناهي
<b>Théologie</b>	لاهوت
<b>Humanisme</b>	مذهب إنساني
<b>Absolu</b>	مطلق
<b>Sacré</b>	المقدس
<b>Espace</b>	مكان
<b>Métaphysique</b>	ميتافيزيقا
<b>Mythologie</b>	الميثولوجيا
<b>Relative</b>	نسبي
<b>Herméneutique</b>	هيرمينوطيقا
<b>Conscience</b>	وعي
<b>Fiction</b>	وهم

الآيات

الصفحة

18 سورة يوسف، الآية 40

23 سورة القلم، الآية 01

23 سورة الأحزاب، الآية 06

30 سورة طه، الآية 11

30 سورة المائدة، الآية 21

51 سورة آل عمران، الآية 109

